

مقالة استعراضية

الوعي بالتراث العمراني والمحافظة عليه : تجربة ذاتية*

صالح بن علي الهذلول

قسم العمارة وعلوم البناء، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود

salhathloul@ksu.edu.sa

قدم للنشر في ١٥ / ١ / ١٤٣٨هـ؛ وقبل للنشر في ٩ / ٦ / ١٤٣٨هـ

ملخص البحث. يمثل التراث العمراني مصدراً رئيساً لمعارفنا وأفكارنا، كما يوفر أرضية يمكن الإنطلاق منها للتطوير والإبداع. ولا يعني ذلك القبول المطلق بشرعته، وإنما الإعراف بأصالته وأنه موروث ثقافي ذو قيمة عالية كمصدر للحاضر. تهدف هذه الدراسة إلى توثيق تجربة ذاتية لأحد أفراد الجيل الأول من المعماريين السعوديين وعلاقته بالتراث العمراني. وتنبع أهمية الدراسة من كونها معاشة واقعية لحياة المجتمع وتسجيلاً لعلاقته التبادلية مع البيئة المبنية وما صاحب ذلك من تغيرات إجتماعية وثقافية وإقتصادية.

تعتمد منهجية الدراسة على تقديم سيرة إنتقائية للأحداث التي مثلت تحولاً في حياة الباحث وعلاقته بالعمارة وفقاً للتسلسل الزمني. وتركز على ثلاثة محاور هي: المكان والزمان والإنسان، حيث تطرح تجربة الباحث في الوعي بالتراث من خلال سبع مراحل هي: (١) الطفولة والدراسة الأولية، (٢) المرحلة الجامعية، (٣) مرحلة الدراسات العليا، (٤) التحول الفكري للباحث، (٥) تدريس العمارة بالجامعة، (٦) الوعي بالتراث في العمل الحكومي، (٧) الوعي بالتراث في خدمة الجامعة. ويغطي النطاق الزمني للدراسة الفترة من نهاية الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي حتى الوقت الحاضر.

تؤكد نتائج الدراسة على: (١) إسهام الباحث في تقديم نموذج جديد لدراسة العمران في الإسلام، حيث إعتد على مواد من التشريع الإسلامي، مما هب له تفسير ظاهرة العمران والتكوينات الفيزيائية التي تميز المدن الإسلامية عن غيرها. وإستطاع بذلك طرح تعريف جديد للعمارة والعمران في الإسلام. كما فتح منهجاً جديداً للبحث في هذا المجال. (٢) أن معاشة الأجيال للتراث العمراني عامل مهم لفهمه وإستيعابه والإستفادة منه. (٣) أن التجارب الذاتية للأفراد عموماً والمخططين والمعماريين خصوصاً تقدم معلومات أساسية عن تعايشهم مع المجتمع وعلاقتهم بالبيئة العمرانية بإعتبارها مصادر أصلية قد لاتوفرها الأبحاث الحالية المتخصصة في مجال العمارة والعمران. (٤) أن توثيق هذه التجارب يوفر مصادر أولية لرصد تاريخ وتطور العمران في المملكة ويتيح للمختصين في مجال تاريخ العمارة أرضية ومنطلقاً للتحليل والنقاش والنقد. (٥) مدى الخسارة الكبيرة التي لحقت بالمجتمع بيئياً وثقافياً وإقتصادياً جراء إهمال الإهتمام بالتراث العمراني وعدم المحافظة عليه وتطويره.

الكلمات المفتاحية: التراث العمراني، الوعي بالتراث، المحافظة على التراث، تاريخ العمران في المملكة العربية السعودية، سيرة ذاتية.

المقدمة

هذه تجربة ذاتية عن علاقة الباحث بالتراث العمراني، ونمو وعيه به، وتطور إهتمامه بالمحافظة عليه. وهو لا ينطلق هنا من قبول شرعية الماضي بشكل مطلق، ولكنه يعترف ضمناً بأصالة تراثنا العمراني وقيمته كمصدر لحاضرنا ومستقبلنا. إننا يمكن أن نقدم أفكاراً عمرانية جديدة ومبدعة ولكن لا بد لهذه الأفكار من إطار يوجهها. لا يمكن للإنسان أن يفكر في فراغ، فنحن دائماً ننتقل من بيئة نعيشها ونفكر ضمنها ونبحث عن حلول لإشكالاتها. ولكن التراث بحد ذاته لا يكتسب صفة الشرعية لمجرد أنه من الماضي، وإنما تكمن قيمته في أنه يحمل في ثناياه موروثاً ثقافياً وقيماً تؤهله ليكون أهم مصدر لمعارفنا، كما أنه يمثل الأساس والمرجع الذي نبني عليها أفكارنا وتصرفاتنا (Anderson. 1970). من هذا المنطلق يتم استعراض هذه التجربة وتتبع تطور إهتمام الباحث بالمحافظة على تراثنا العمراني الذي ولد وترعرع في محيطه. وتنتهي الورقة بطرح بعض الأفكار حول التراث و برامج التعليم العمراني وكيف يمكن أن نزرع الوعي بالتراث وقيمته لدى طلاب مدارس العمارة والتخطيط.

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى :

١- توثيق تجربة الجيل الأول من المعماريين

السعوديين الذين درسوا العمارة في جامعات المملكة ورصد مدى تطور وعيهم بأهمية المحافظة على التراث العمراني، وذلك بتقديم طرح تحليلي لبعض الجوانب في حياة أحد أفراد هذا الجيل اللذين ساهموا في مجالات العمران المختلفة في المملكة خلال الخمسة عقود الماضية.

٢- إيضاح الكيفية التي تم من خلالها معايشة تراثنا العمراني، وتتبع المراحل التي بدأنا خلالها نشعر بفقدان هذا التراث وقرب إختفائه.

٣- إخراج هذه التجارب وجعلها متاحة للمختصين بإعتبارها مصدراً معرفياً يثرى مجال تاريخ العمارة في المملكة العربية السعودية.

أهمية البحث

١- إن توثيق وإستعراض مثل هذه التجربة وتحليل تجارب الجيل الأول من المعماريين يثرى القارئ حيث أنها نتاج إنغماسهم في الحياة اليومية ونتاج تجاربهم الشخصية. هذا التوثيق والتحليل يمثل سجلاً لتاريخ حركة الفكر المعماري والعمراني في المراحل الأولى لبدأ تعليم العمارة في المملكة. كما يتيح فرصة للأجيال المعاصرة لمعرفة تجارب الأجيال السابقة والتعلم منها. إذ إن تجارب الحياة هذه تنطلق من ممارسة يومية لحياة مجتمع بأكمله في مرحلة معينة، وتكون غنية بالمعلومات الأولية الأصلية المعاصرة للحدث التي لا توجد في غيرها.

٢- أن هذا التوثيق يعرض معلومات من

(Facey, 1992). وتتبع الهذلول نمو المستوطنات في منطقة نجد خلال القرن الرابع عشر الهجري ، بدراسة تفصيلية لبلدة البدائع بالقصيم ودرس مراحل نموها العمراني ، وتطور مؤسساتها المجتمعية ، كالتعليم ، والصحة ، وخدماتها ومرافقها (الهذلول ، ١٩٨٣). ودرس ابن صالح النمط والهيكل والتطور العمراني لقرية آل خلف في منطقة عسير (Eben Saleh, 1995)، كما حلل النمط العمراني التقليدي لقرية العكاس (Eben Saleh, 1997). ودرس الحصين أنماط وعناصر العمران بالمدينة المنورة (الحصين ، ٢٠١٠م)، ونمط العمران التقليدي بمدينة الرياض (الحصين ، ١٤١٧هـ). ووثق كليجال عدداً من البيوت التقليدية مع تحليل لعناصرها ومكوناتها بالمنطقة الوسطى من المملكة، (Kalical, 1989) . وهذه الدراسات تمثل مدخلاً جيداً لدراسة العمران في المملكة العربية السعودية ، ولكنها تفتقد التعايش والتجربة والإنغماس في هذا العمران .

وهناك نوع آخر من الدراسات ينحو إلى ربط العمران بالواقع المعاش وحياة الناس . مثال ذلك ما قام به السدحان في دراسته للأمثال الشعبية. حيث وظف هذه الأمثال لتقديم صورة للعمارة التقليدية والمفاهيم المصاحبة لها في منطقة نجد (السدحان ، ٢٠٠٤). وكذلك بحثه الموسوم «دراسة البيئة العمرانية التقليدية من خلال الشعر العامي بمنطقة نجد». حيث وظف الأدب الشعبي بمعطياته المختلفة من شعر ، وقصص ، وحكايات ، للكشف

مصادر أولية لم يسبق تسجيلها و لاتتوفر في الدراسات الأخرى ذات العلاقة.

٣- يمثل توثيقاً لأجزاء من مسيرة العمران في المملكة في مراحل زمنية تمتد لأكثر من خمسة عقود ، وهي الفترة التي حصلت فيها الطفرات الاقتصادية وما صاحبها من نمو عمراني ، وإنطلاق في التعليم المعماري، وفقدان لكثير من التراث العمراني.

أدبيات الدراسة

هناك العديد من الدراسات عن البيئة العمرانية التقليدية نشوؤها وكيفية تكوينها وتشكلها (الهذلول ١٩٩٤ ، أكبر ، ١٩٩٢). ومن أوائل الدراسات الخاصة بمدن المملكة العربية السعودية وعمرانها التقليدي عدد من رسائل الماجستير أجراها طلاب سعوديون في برنامج التصميم العمراني للمستوطنات في معهد ماساشوسيتس للتقنية خلال السبعينيات والثمانينيات الميلادية من القرن العشرين . فدرس الهذلول والحصين والشعبي استعمالات الأرض وأنماط التخطيط العمراني بمدينة الرياض (AIH Athloul, et. al. 1975)، ودرس فادان عمران مدينة جده (Fadan, 1977)، وقام طاشكندي بدراسة أنماط العمران في خميس مشيط (Tashkandi, 1979) ، وحلل العتيبي العمران التقليدي في مكة المكرمة ، وركز العوهلي على دراسة أحياء مدينة عنيزه ونمطها العمراني (AIOhali, 1983). كما كتب فيسي عن مدينة الرياض القديمة وعمرانها

أعماله المعمارية والتخطيطية، (الغمراوي ، ٢٠٠٤). وماكتب عن أعمال وفكر المعماري حسن فتحي والتي ترصد فلسفته من خلال أعماله المعمارية، (إبراهيم، ١٩٨٧، Steele, 1997). وكتاب ”عمارة راسم بدران“، والذي يقول مؤلفه أنه إعادة فهم لثقافة التجمعات البشرية من خلال المفهوم العمراني المرتبط بالأبعاد الاجتماعية والبيئية والثقافية. ويرى أن بدران يحاول من خلال تصاميمه حل العلاقة الجدلية (الأزلية) بين الإنسان والمكان والزمان، (Steele, 2005).

ومن الأدبيات القريبة لموضوعنا كتاب « إسطنبول الذكريات والمدينة » لـ أورهان باموق. وهو ليس مجرد سيرة ذاتية للكاتب بل نص يعبر عن علاقة حميمة يتداخل فيها الخاص بالعام في رحلة يكتشف فيها باموق ذاته من خلال إسترجاع التفاصيل عبر علاقتها بالزمان والمكان . إذ يستعيد الكاتب شجن طفولته وسيرة عائلته وسيرة إسطنبول المدينة ومكونات هويتها الثقافية والعمرانية وإيقاع ذلك كله في حياته وحياة المدينة. (باموق ، ٢٠١٠).

منهجيات البحث

نظراً لطبيعة هذه الدراسة وكونها رسداً للتطور الفكري والعملية وتوثيقاً لتجربة ذاتية لكاتبها، فسيتم توظيف التسلسل الزمني في ترتيب أجزاءها، لكنها لن تكون سرداً تاريخياً لحياة

عن خصائص البيئات العمرانية التقليدية. خاصة وأن الشعر العامي كان هو الوسيلة الأبرز لتوثيق ظروف حياة الناس والأحداث التي يعايشونها في الأزمنة السابقة (السدحان ، ٢٠٠٦).

تعتبر المجالات العلمية مصدراً رئيسياً للباحثين ، وتنوع البحوث التي تنشر فيها بحسب تنوع التخصصات الفرعية. ففي مجال التخطيط العمراني تنشر هذه المجالات البحوث ذات العلاقة بالمدن وتركيبها العمراني وإستعمالات الأراضي ومايتعلق بتخطيط المرور والنقل.. إلخ.. وترتكز المجالات في مجال العمارة على المجالات المتخصصة ك: تقنيات العمارة من مواد البناء وتقنيات المناخ والصوتيات ، والأبحاث في مجال طرق ومناهج التصميم المعماري ، وفي مجال نظريات العمارة وتاريخها.

وقد تنوعت المناهج البحثية ذات العلاقة بتاريخ ونظريات العمارة ، فنجدها تركز إما على تاريخ العمارة لحقبة محددة أو لمكان أو منطقة معينة، أو توثق أعمال معماريين مشهورين. وتظهر بين الحين والآخر بعض الجهود والمحاولات التي تدرس التجارب الشخصية للمخططين والمعماريين مثل دراسة ثويني ” المعماري محمد صالح مكيه : تحليل للسيرة والفكر والمنجز “ ، التي طرح فيها تحليلاً كاملاً لسيرته الذاتية والعملية ، ومناقشة وافية ومستفيضة لأرائه وتوجهاته في مجال التخطيط والعمارة ، وفلسفته في الحياة (ثويني ٢٠١٣). ودراسة الغمراوي ” الدكتور سيد كريم : رائد تخطيط المدن “، التي تناول فيها

منطقة القصيم ، وتمتد قرابة الثمانية عشر كيلومترا بمحاذاة الوادي. بدأ لاستيطان البدائع مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، وأول مزرعة أنشئت فيها هي المزرعة المسماة بالعميرية. (العبودي ، ٢٠١٦م)^١. ومع بداية القرن الرابع عشر الهجري ظهرت مزرعة الوابلية. ثم تلاها ست مزارع قبل عام ١٣٠٨هـ. وإستمر إنشاء المزارع بعد ذلك. وفي عام ١٣١٤هـ تم بناء مسجد جامع يتوسط المزارع القائمة حينذاك. وكان صاحب مزرعة سمحه عبد الرحمن بن محمد السلامة المشهور بـ: عبيد (ت ١٣٢٧هـ) قد أذن لمن أراد بناء منزل جنوب مزرعته كما قام بتسبيل الماء والطين. ونتيجة لذلك بدأت المنازل في الظهور جنوب مزرعة سمحه وإستمر الناس في البناء. وفي عام ١٣١٧هـ قام المستوطنون بنقل المسجد قرب هذه البيوت ، (الهذلول، ١٩٨٣).

وبظهور المستوطنة حول مزرعة سمحه أخذت اسم مؤسسها، فأصبحت تعرف بمنزلة عبيد أو منزلة السلامة ، الشكل (١). وقد شكل إذن ورغبة عبد الرحمن السلامة (عبيد) بأن يبنى الناس مقابل مزرعته من الجنوب دافعاً قوياً لارتباط السكان بهذه المزرعة . حيث أنشأ عبيد حابوطاً مفتوحاً (مدي ماء) خارج المزرعة يرتاده الناس للوضوء والتزود

الكاتب، بل هي سيرة إنتقائية لتلك الأحداث التي مثلت تحولاً في حياته وعلاقته بالعمران والتراث العمراني. وسترکز على ثلاثة محاور هي : المكان والزمان والإنسان ، وهذه المحاور كما يصفها محمد مكيّة هي المثلث الذي يقوم عليه عمران الأرض . فالمكان هو حجر الزاوية في العلاقة الحميمة مع الإنسان ، والإنسان يختلف باختلاف المكان ويتشابه بتشابهه. وحينما تفقد العمارة حس المكان ، فإنها تفقد خصوصيتها، وبالتالي أصالتها. بينما يتضمن الزمان البعد الوجودي المتغير. فالإنسان ينمو فكرياً ويتطور عملياً خلال الزمن، (ثويني ٢٠١٥، ص ١٨٥-١٨٦).

سيتركز النطاق المكاني لهذه الدراسة ببلدة البدائع بالقصيم ومدينة الرياض وهما الأماكن التي قضى فيها الكاتب معظم سني حياته ، وقد إمتدت تجربة الكاتب لكثير من حواضر العالم العربي بالإضافة لسنوات الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية. بينما يغطي النطاق الزمني لهذه الدراسة الفترة من نهاية الخمسينيات الميلادية من القرن العشرين وحتى منتصف العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين الميلادي .

المكان :

تقع البدائع - وهي البلدة التي ولد الباحث ونشأ فيها- على الضفة الجنوبية لوادي الرمة ، في منتصف المسافة بين مدينتي عنيزة والرس وسط

(١) تتفق جميع المصادر على أن العميرية هي أول مزرعة تأسست بالبدائع ، وأشار إبن بسام إلى أن إنشاءها كان عام ١٢٩٩هـ ، إلا أن بعضهم يرون أن إنشاءها كان في عام ١٢٩٧هـ أي قبل ما ذكره ابن بسام بستين. (الهذلول ١٩٨٣م).



الشكل (١) مخطط البدائع عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ، ويوضح موقع مزرعة سمحة في الجهة الشمالية.
المصدر: الهذلول ، ١٩٨٣ .

للبوت . (الهذلول ، ١٩٨٣م).
وفي صيف عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م هدم قصر مزرعة سمحة ودفنت بئرها (القليب) وأزيل الحابوط وذلك لتوسعة الشارع المار بجانبها ، ضمن برنامج نزع ملكيات عامة في المملكة ، الشكل (٢). وقد تسبب هذا البرنامج بهدم الكثير من المستوطنات بالمملكة وتغيير النمط العمراني التقليدي السائد في حينه. وقد قال الشاعر/ صالح بن محمد الجهني (ت ١٤١٧هـ) قصيدة يرثى بها حالها وما آلت إليه مطلعها:
ذكرت لي قولٍ يردد من سنين
يدعى به لسمحه وللي بناها

بالماء . وجعل فيه حجرة (فناء) للنساء وبجوارها مصلى هن . وإستمر الناس على هذه الحال معتمدين بشكل أساسي على حابوط سمحة كمصدر أساسي للماء . ومثل هذا الحابوط مكاناً للإلتقاء خمس مرات في اليوم بالنسبة للرجال ، حيث يأتون للوضوء قبل ذهابهم للصلاة ، ومرتعاً للصبيان للعب والسباحة ، ومنتدي إجتماعياً للنساء حيث يقضين وقتاً طويلاً خلال اليوم في غسيل الأواني والملابس وتبادل الأحاديث وما إلى ذلك . وإستمر ارتباط السكان بمزرعة سمحة حتى بداية الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري بداية الستينات من القرن العشرين الميلادي عندما تم إيصال شبكة المياه



الشكل (٢) صورة جوية للبدائع (منزلة عبيد) عام ١٣٩٦، ١٩٧٦م. توضح مسار الشارع بعد هدم قصر سمحة.
المصدر: هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية (US Geological Survey).

ويقول فيها:

حابوطها ياعبيد من عقبكم هين

والمصلى الي عمرنه نساها

ثم يتذكر:

سمحة ملاعبنا وحننا صغيرين

سمحة لنا ظل وحننا رجاها

ويختم بفكرة تخطيطية بسيطة ولكنها غابت عن أذهان

المخططين:

لو أنهم لفوا عن البير بوعين

تسلم لنا سمحه ونقطف جناها^٢

هدوا بناها في رجب يوم عشرين

عفا فهم قلع حوامي لزاها

مقصورته طاحت على البير من حين

جاها الدر كتر أحمر الموت جاها

حتى النخل عقب السعد شافن البين

صارن نبوع خاويات تراها

طاحن مصاريع وصبح الرحومين

قنيانن بادي يلون نهاها

قاموا بتفريطه صغار الوراين

ومنول يا لله تطالع قناها

(٢) تتكون القصيدة من عشرين بيتاً، جادت بها قريجة الشاعر أثناء عملية الهدم بعد ظهر يوم السبت ٢٠ محرم ١٣٩٦هـ الموافق ١٧ يوليو ١٩٧٦م، وألقاها في حفل نادي الرمة السنوي في ثاني أيام عيد الفطر عام ١٣٩٦هـ الموافق ٢٦/سبتمبر/١٩٧٦م.



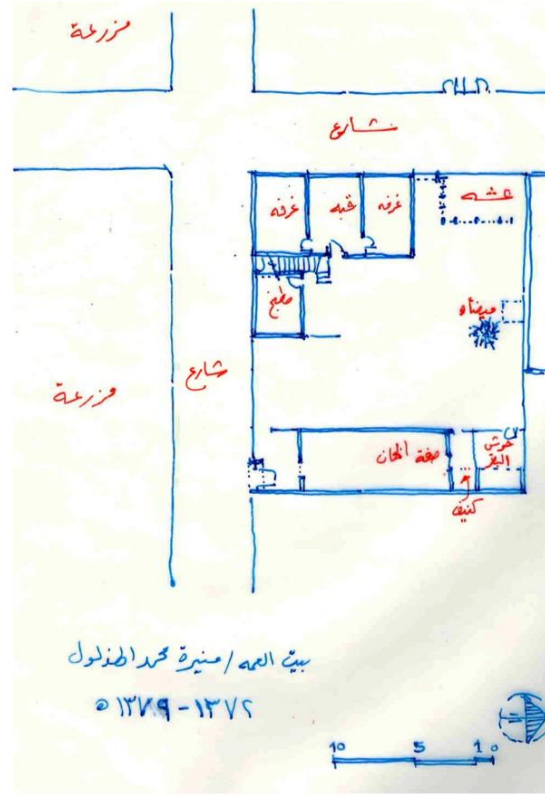
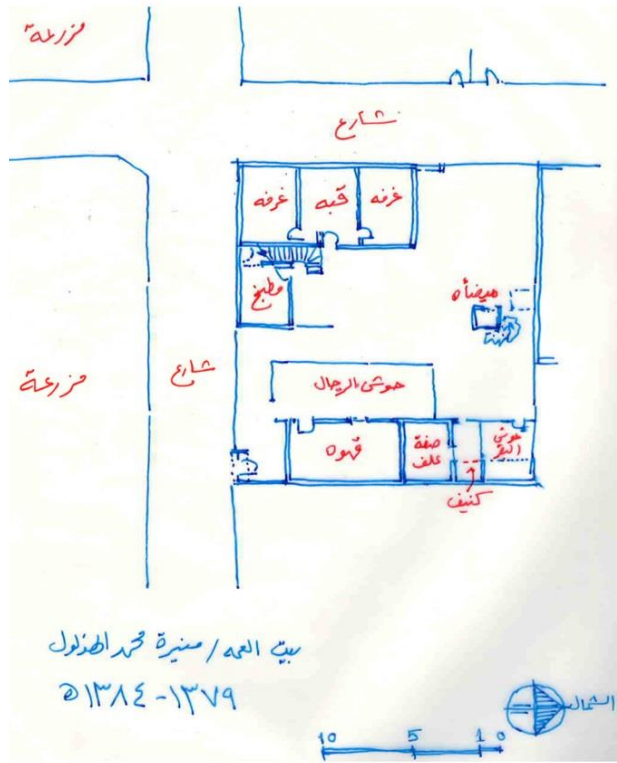
الشكل (٣) صورة لموقع حابوط وقصر سمحه في صيف ٢٠١٤م الحابوط تقوم في مكانه شجرة خضراء ، أما القصر والبئر فموقعهما في وسط الشارع المسفلت. المصدر : الباحث

وكان ذلك عام ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ، (الشكل ٤). وقد استعان بقريب له بنفس عمره ولكن لديه خبرة بالبناء، فتعاوننا على جلب الطين من الوادي وإعداد اللبن الطيني والقيام بالبناء والتليس (الشباعة) ، وإجراء التعديلات والإضافات.

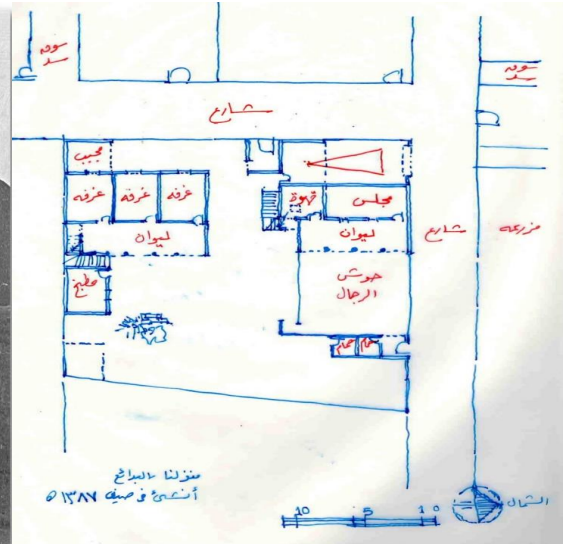
في عام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م إنتقل الكاتب من البدائع إلى الرياض للعمل صباحاً ومواصلة دراسته الثانوية ليلاً . وفي صيف ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م عاد إلى البدائع ليساعد أخاه الأكبر في الإشراف على بيت كانا يقومان ببنائه من الطين (عروق ولبن) ، وقد إتبع في مخطط هذا البيت النمط السائد في تلك الفترة. وتولى البناء المعلم / عبد الهادي الحربي (ت ١٤١٧هـ) . وفي صيف ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م خلال تواجد الكاتب في البدائع قام بإضافة مستودع في هذا البيت بمساعدة إثنين آخرين من أقرانه، الشكل (٥).

وعندما هدم القصر ودفنت البئر ، ومر الشارع من خلال الحابوط ، وإقتلعت النخيل التي في مسار الشارع تأثر الناس كثيراً نظراً لارتباطهم العاطفي والفعلي بالمكان، الشكل (٣).

١ . الوعي بالتراث في مرحلة الطفولة والدراسة الاولى خلال نشأة الكاتب بالبدائع تعلم البناء بمادة الطين وهي المادة الأساسية التي تستخدم في البناء وتكوين الفراغات والكتل العمرانية في المستوطنات التقليدية في نجد. فقد كان البيت الذي يسكنه لا يوجد فيه مكان لإستقبال الضيوف الرجال (قهوه)، مما إستدعى إجراء بعض التعديلات والإضافات، وذلك بإستقطاع ثلثي غرفة كانت تسمى (الخان) وتستخدم لتخزين الأعلاف ، وفتح باب ونوافذ لها ، وتسوير فناء خاص بها ، بحيث يمكن للضيوف الدخول والخروج دون جرح خصوصية البيت ،



الشكل (٤) مخطط البيت قبل التعديل والإضافة وبعدها. المصدر: الباحث.



الشكل (٥) مخطط وصورة لبيت البدائع الذي خطه الباحث، وقام ببنائه وتشكيل واجهاته وطابعه المعماري المعلم عبدالمجيد

الحري عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م. المصدر: الباحث

وقت الحج.٤

في صيف عام ١٩٦٩م بعد إنهاء الباحث للسنة الثانية عمارة قرر أخاه الانتقال إلى الرياض فقاما بشراء أرض بمساحة ١١٠ م^٢ في نهاية شارع الريل عند تقاطعه مع طريق الخرج ، وصممها سريعاً وأشرف على بنائها وإتبع في ذلك النموذج السائد في حينه حيث يوضع فناء صغير في وسط البيت وتأتي حوله الغرف . وحاول قدر الإمكان إستثمار ما تعلمه خلال السنة التي درس فيها العمارة في تصميم وتنفيذ هذا البيت. والمبنى عبارة عن جدران حاملة من البلك الإسمنتي وأساسات من الحجر مع إستخدام الأخشاب في الأسقف ، الشكل (٦).

ووفقاً لبرنامج التدريب الذي تتطلبه الكلية للتخرج ، عمل الباحث في صيف عام ١٩٧٠م لدى شركة كانسلت ليمتد.° وفي صيف عام ١٩٧١م قام الدكتور/ عادل إسماعيل بالتنسيق مع جامعة

(٤) تولى رئاسة القسم عند تأسيسه وإفتتاحه الدكتور / محمد المهاني ، بالإضافة لعمله الأساسي رئيساً لقسم الهندسة المدنية. وفي نهاية عام ١٩٦٧م إنضم الدكتور أحمد فريد مصطفى لهيئة التدريس في الكلية وتولى رئاسة القسم ويعتبر هو المؤسس والمطور الحقيقي للقسم. وفي سبتمبر ١٩٧٠م. إنضم الدكتور عادل عبد الفتاح إسماعيل لهيئة التدريس بالقسم. وكان لهذين الأستاذين الدكتور / أحمد فريد مصطفى والدكتور / عادل إسماعيل دور وتأثير كبير في تعليم وتنشئة الأجيال الأولى من المعماريين من خريجي القسم.

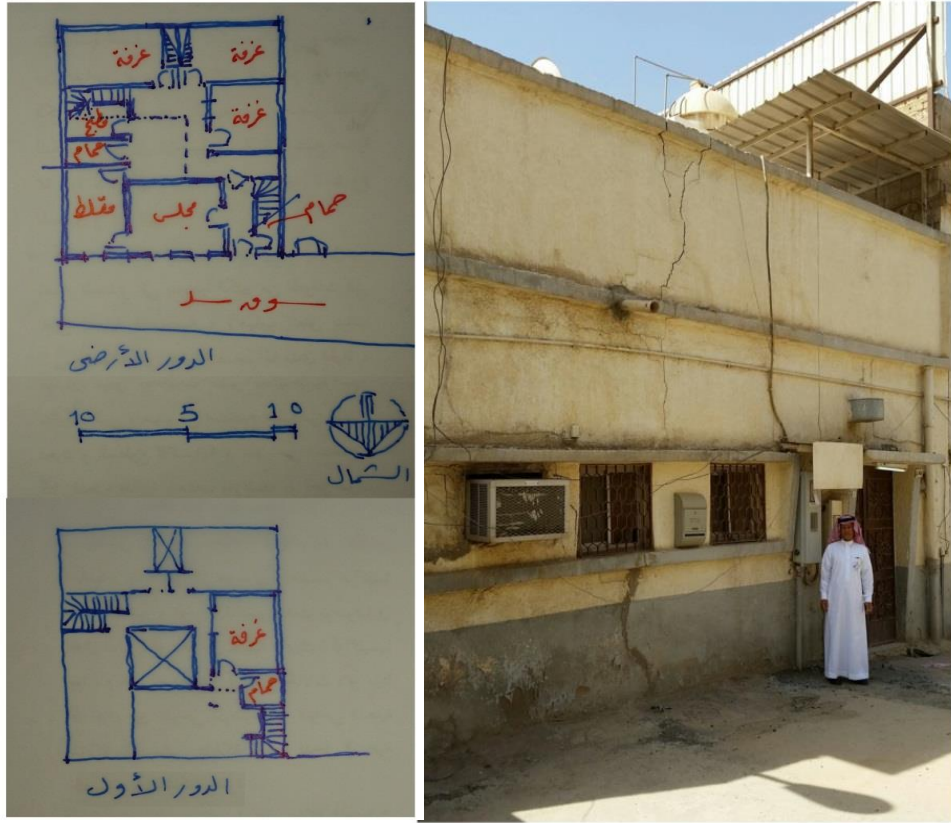
(٥) شركة كانسلت ليمتد شركة كندية كانت تصمم وتشرف على تنفيذ شبكة الصرف الصحي ومحطة التنقية لمدينة الرياض الكائنة بالхайير. وقد إستفاد الباحث كثيراً من تجربته تلك في مجالين : الأول هو: حساب الكميات ، حيث أوكلت له مراجعة الكميات التي يقدمها المقاول الذي يقوم بتنفيذ المحطة. والمجال الثاني : هو مجال الرسم وتعلم طريقة إخراج الرسومات التنفيذية .

٢. الوعي بالتراث في المرحلة الجامعية

في سبتمبر ١٩٦٧م التحق الباحث بكلية الهندسة بالرياض الكائنة بحي عليشه ، وبدأ تخصصه في مجال العمارة من السنة الثانية في الكلية في سبتمبر ١٩٦٨م.٣ وقد بذل أعضاء هيئة التدريس بقسم العمارة جهداً كبيراً في توعية الطلاب بقيمة التاريخ والعمران التقليدي بالإضافة للعمارة الحديثة. حيث كانوا يوجهوننا لاستخدام الفناء الداخلي بالتصميم ويشرحون لنا فوائده . كما كلفونا برفع وتصوير بيوت الرياض القديمة وتحليل عناصرها خلال مادة التصميم لمشروع إسكان . من خلال مادة التخطيط العمراني كلفنا بإعداد بحوث عن التاريخ العمراني للمدن السعودية . بحيث تقوم كل مجموعة بدراسة النمو العمراني لمدينة معينة . وقد قام الباحث مع زميله المهندس / علي الشعبي بدراسة التطور العمراني لمكة المكرمة عبر الزمن . كما كلفنا كمجموعة بدراسة تخطيطية للمشاعر المقدسة

(٣) انشئت كلية الهندسة عام ١٩٦٢م. كمشروع مشترك بين المملكة واليونيسكو ، وإنضمت إلى جامعة الملك سعود عام ١٩٦٨م (engineering.ksu.edu.sa). كان التدريس باللغة الإنجليزية ، والدراسة خمسة أيام في الأسبوع من السبت إلى الأربعاء. أما الخميس فكان مخصصاً للإمتحانات في المواد الدراسية (quizzes).

إفتتح قسم العمارة وقبل أول دفعة في سبتمبر ١٩٦٧م ، وكان يقبل من بداية السنة الثالثة بالكلية أسوة بالنظام المتبع في بقية أقسام الكلية، حيث كانت الدراسة عامة في السنتين الأولى والثانية، ويبدأ التخصص من السنة الثالثة في جميع الأقسام . وفي عام ١٩٦٨م، غير القسم نظامه بحيث يقبل طلابه ابتداءً من السنة الثانية. لذا قبل دفعتين في سبتمبر أحدهما إنضموا للقسم من السنة الثالثة. والدفعة الأخرى إنضموا بدءاً من السنة الثانية ومن ضمنهم الباحث.



الشكل (٦) مخطط بيت الرياض الذي صممه وأشرف على إنشائه الباحث عام ١٩٦٩م. وصورة للواجهة الأمامية عام ٢٠١٤م.
المصدر : الباحث

بعد التخرج من الكلية في يونيو ١٩٧٢م تعين الباحث معيداً بقسم العمارة، وعمل مع الدكتور / فريد شافعي - يرحمه الله - خلال تدريسه لمادة تاريخ العمارة الإسلامية في العام الدراسي ١٩٧٢/١٩٧٣م. وقد تعلم منه الكثير عن الابنية المشهورة والطرز المختلفة للعمارة في العالم الإسلامي.

كل هذه الأعمال والتوجهات لفتت نظر الباحث لقيمة الماضي والعمران التقليدي. ولكن الوعي الحقيقي بقيمة التراث لم يتبلور في ذهنه بعد. حصل الباحث على قبول للماجستير بالمدرسة

كارلسروها في ألمانيا لمشاركة عدد من طلاب القسم في دورة متخصصة عن العمران^٦ وقد أتاحت هذه الرحلة لهم الإطلاع على الطرز المعمارية المختلفة التي كانوا يدرسونها بتاريخ العمارة والإطلاع على المعالم المعمارية المشهورة، كما فتحت أعينهم على العالم.

(٦) المشاركون هم: د/ محمد الحصين، م/ علي الشعبي، وم/ محمد الفتوخ والباحث، قاموا برحلة بالسيارة من الرياض إلى ألمانيا. وكانت تجربة رائعة مروا خلالها على عمان ودمشق وبيروت واللاذقية ووسط صحراء الأناضول، ثم إسطنبول وصوفيا وعبر يوغسلافيا ثم النمسا حيث مروا بمدينة إنسبروك ثم ألمانيا. ولكنهم لسوء الحظ تأخروا عن بدء الدورة مما حرمهم الاستفادة منها. فأكملوا الرحلة شمالاً إلى الدنمارك.

دراسية : الرياض ، المملكة العربية السعودية.“
وانحصرت مشاركة الباحث في الجزء الثاني من الرسالة وهو مشروع تطوير نموذج عمراني للحي السكني بمدينة الرياض^٧ ، (AlHathloul et.al, 1975).
كان تركيز برنامج التصميم العمراني خلال العامين اللذين قضاهما الباحث في جامعة هارفارد على العمارة والعمران الحديث والمعاصر ، فتعلم من خلاله أسس ومبادئ التصميم العمراني بشكل رئيسي واكتسب خبرة في التعامل مع واقع المدن المعاصرة حيث كانت المواضيع التي تدرس في الاستوديوهات تؤخذ من إشكاليات تواجهها المدن الأمريكية . إلا أن الباحث كان يركز أوراقه البحثية للمواد المختلفة على مواضيع ذات علاقة ببيئته

(٧) ركزت الرسالة على أنماط وإستعمالات الأراضي بمدينة الرياض ، من حيث كثافة وفعالية هذه الإستعمالات. وتتكون من جزئين رئيسيين. الجزء الأول: مسح وتحليل وتقييم للبيئة السكنية بمدينة الرياض من خلال دراسة خمسة أحياء هي: حي الديرة ويمثل النمط العمراني التقليدي ، وحي منفوحة ويمثل النمط الانتقالي بين التقليدي والمعاصر ، وحي الخزان ويمثل النمط المعاصر في حينه ، وحي المزر ويمثل النمط الشبكي المعاصر، وأنشئ من قبل الدولة كسكن للموظفين الحكوميين ، وحي خريص وهو مشروع حكومي لإسكان ذوي الدخل المنخفض. وقد تم تحليل الحالات الدراسية على أربع مستويات هي: الحي وإرتباطه بالموقع وعلاقته بالمدينة ككل، المجاورة وتوضح العناصر الرئيسية كالشوارع والمسكن وتقسيمات الأراضي ، والمناطق التجارية والخدمات العامة، والبلدك السكني، والوحدة السكنية، كما تم تحديد ثمانية أنماط من المساكن والتي تمثل نظام السكن بمدينة الرياض ، وتم تحليلها وتقييمها . وعني الجزء الثاني من الدراسة بتطوير نموذج عمراني للحي وإشتمل على: مراجعة وتحليل لمخطط مدينة الرياض المعتمد عام ١٩٧٢م والمعد من قبل الإستشاري دو كسيادس مع التركيز على الدراسات الأساسية للتنمية العمرانية ومقترحات التطوير والتصميم العمراني للأحياء السكنية. وتم طرح إثني عشر نموذجاً لكيفية تطوير الحي السكني بمدينة الرياض وتقييمها وفقاً لفاعلية الإستعمال والكثافة والحركة للمشاة والسيارات.

العليا للتصميم في جامعة هارفارد ، كمبريدج ، ماساشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية ، في مجال التصميم العمراني. والتحق بالبرنامج من سبتمبر ١٩٧٣م حتى يونيو ١٩٧٥م. وقد إستفاد كثيراً من هذا البرنامج حيث فتح أفقه للحركات والتوجهات المعمارية المختلفة مع التركيز على تاريخ نشوء المدن وتطورها. وخلال الفصل الأخير من هذا البرنامج قام بتسجيل مادة إستديو مع الأستاذ / هوراشيو كامينوس ضمن برنامج التصميم في الدول النامية بمعهد ماساشوستس للتقنية. وكان الاستاذ كامينوس يركز على دراسة البعد الثقافي والحضاري للمجتمع الذي يعمل فيه المصمم وإستنباط الحلول من التراث، مع الأخذ في الحسبان والأستفادة من المؤثرات والتقنيات الحديثة والمعاصرة. وكان مهتماً بحكم خلفيته بمدن أمريكا اللاتينية، التي يرى أنها نتاج التجربة الأسبانية. كما كان ينظر للتجربة الأسبانية في بناء المدن على أنها إمتداد لتجربة وحضارة العرب المسلمين.

وعمل الباحث في هذا الاستوديو مع زميليه الدكتور / محمد الحصين والمهندس / علي الشعيبي ، اللذين كانا يدرسان في نفس البرنامج ويقومان ببحث عن إستعمالات الأراضي الحضرية بمدينة الرياض ، ونتج عنها رسالتهم المشتركة للماجستير بعنوان: ”إستعمالات الأراضي الحضرية ، حالة

تطورها ونموها وإشكالاتها . وقرأ الكثير مما كتب في الموضوع وخرج بورقة بحثية عنوانها: "المدينة الإسلامية: في البحث عن نموذج"، (AlHathloul, 1976b). وقد شكلت هذه الورقة مفتاح قبوله لبرنامج الدكتوراه في معهد ماساشوستس للتقنية.^{١٠}

إستعرضت الورقة التوجهات والمناهج المتبعة في دراسة المدن الإسلامية حتى أواسط السبعينيات من القرن العشرين الميلادي. ركز بعض هذه التوجهات على دراسة عملية التحضر في العالم الإسلامي، وإنشاء مستوطنات وعواصم جديدة خلال إمتداد وتوسع الدولة الإسلامية. بينما ركز آخرون على مكانة المدن وحياة الحضر والإستقرار في الحضارة الإسلامية. وتحاول بعض هذه التوجهات تعريف وتحديد الخصائص المميزة للمدن الإسلامية بمضاهتها ومقارنتها بالنموذج الهليليني أو الأوربي. بينما سعى باحثون آخرون إلى تحديد الخصائص المتكررة التي تميز المدن الإسلامية مثل النمط العمراني المتماثل للشوارع والأحياء، أو تحديد

(١٠) وكان الأستاذ ستانفورد أندرسون الذس سيشرف على الباحث خلال دراسته مهتم بموضوع التراث والتقاليد وأثرهما على العمران في العالم الغربي. ولكن الإشكالية بالنسبة لهم في المعهد أنه لم يكن هناك أي من الأساتذة مختص في العمارة والعمران في الإسلام. لذا إرتؤوا أن يقنع الأستاذ / أوليج جرابار من جامعة هارفارد لعله يوافق أن يكون ضمن المشرفين على دراسة الباحث ورسالته بالإضافة للأستاذ / ستانفورد أندرسون. وكان الباحث خلال ذلك العام قد أخذ مادة مع الأستاذ / جرابار عن تاريخ العمارة الإسلامية، وطور معه علاقة لا بأس بها. لذا عندما طرح عليه الموضوع أبدى الأستاذ جرابار إستعداده وكتب رسالة تركية يوصي بها بقبول الباحث في برنامج الدكتوراه في إم أي تي ، كما أوضح في الرسالة إستعداده للمشاركة في الإشراف عليه وتوجيهه فيما يخص العمران في العالم الإسلامي .

وبالمدن العربية الإسلامية. حيث قدم بحثاً عن الحج وإشكالاته وتنظيم الحركة في المشاعر المقدسة لمادة "تاريخ تخطيط المدن" (AlHathloul.1974b). وفي مادة الإسكان عمل على ورقة بحثية بعنوان: "الإسكان في المملكة العربية السعودية" (AlHathloul.1974a). وفي مادة تاريخ الأنشطة والوظائف الحضرية أعد ورقة بحثية عن مكة المكرمة وتاريخها العمراني وتأثير الحرم المكي على المنطقة المركزية بمكة المكرمة.^٨ (AlHathloul.1975b).

٣. الوعي بأهمية التراث في مرحلة الدراسات العليا-

النسق المتبع

إنظم الباحث خلال العام الدراسي ١٩٧٥- ١٩٧٦م كطالب خاص Special Student في معهد ماساشوستس للتقنية.^٩ وركز خلال ذلك العام على دراسة المدن العربية الإسلامية ودرس مراحل

(٨) قدم الباحث ورقة «الحج وتنظيم الحركة في المشاعر المقدسة»، لمادة تاريخ تخطيط المدن مع الأستاذ / لورانس مان في يناير ١٩٧٤م. وأعد ورقة عن «الإسكان وإشكالاته في المملكة العربية السعودية»، بالتعاون مع زميله المهندس / علي الشعيبي، وقدمها لمادة الإسكان مع الأستاذ / كيلبردج في مايو ١٩٧٤م. وقدم ورقة عن «تأثير الحرم المكي على المنطقة المركزية بمدينة مكة المكرمة» لمادة تاريخ الأنشطة والوظائف الحضرية مع الأستاذ / فرانسوا فيجييه في مارس ١٩٧٥م.

(٩) في صيف عام ١٩٧٥م حصل على قبول للدكتوراه في جامعة بنسلفانيا، وقام بزيارة لمدينة فيلادلفيا لإستعداداً للإنتقال إليها . إلا أنه لم يشعر بالإرتياح حيث كانت الجامعة في مركز فيلادلفيا وكان حينها منطقة متهاكة وموحشة . وبعد عودته إلى كمبريدج علم أن معهد ماساشوستس للتقنية (أم أي تي) قد استحدثوا برنامجاً للدكتوراه في العمارة والدراسات البيئية، وأنه سيبدأ اعتباراً من سبتمبر ١٩٧٥م . لذا تواصل مع رئيس البرنامج الأستاذ / ستانفورد أندرسون في محاولة لقبوله وقد رحب به إلا أنه أوضح له أن القبول قد انتهى لذلك العام . لكنه اقترح عليه أن ينظم معهم كـ: طالب خاص "Special student" خلال العام الدراسي ١٩٧٥م - ١٩٧٦م ويأخذ بعض المواد التي تفيده في البرنامج إذا قبل في العام القادم، وهذا ماتم بالفعل.

، أو المدن في إقليم بعينه، أو وضع المدن في لحظة زمنية محددة من التاريخ الإسلامي. ثم يطورون من الحالة الدراسية التي تخصصوا فيها نموذجاً تجريبياً يدعونه بـ "المدينة الإسلامية". كما أنهم يركزون على دوام وإستمرار التشكيلات العمرانية ويغفلون ما يتم عليها من تغيرات خلال الزمن. وبذا أصبحت لدينا "المدينة الإسلامية التقليدية" التي يفترض أنها تمر بأدنى قدر من التطور والتغيير عبر الزمن. كما توصلت الورقة إلى إستنتاج أنه لا بد من تحديد وتعريف ما نسميه "المدينة الإسلامية"، وربطها بموقعها مكاناً وزماناً وبخلفيتها الثقافية، وأنه من غير الممكن إيجاد أو تطوير نموذج ينطبق على كل مدينة في كافة أرجاء العالم الإسلامي من القرن السابع الميلادي إلى وقتنا الحاضر. لذا فقد يكون من المناسب ربط المدن الإسلامية بمجتمعاتها والثقافة السائدة في منطقتها، فنقول مثلاً: المدينة العربية الإسلامية، المدينة الإسلامية في الهند، والمدينة الإسلامية في الأندلس. إذ أن ذلك سيتيح للباحث دراسة هذه المدن ضمن إطارها الثقافي والاجتماعي والجغرافي. وأنتهت الورقة للحاجة إلى تتبع تطور وتغير (إعادة تشكيل) العناصر والتكوينات العمرانية في المدن العربية الإسلامية، وإيضاح كيف أثر ذلك على التشكيل العام للمدينة. وإذا ما إستطعنا تحقيق ذلك فستمكن من (١) تطوير توجه نظري لكيفية تشكل المدينة العربية الإسلامية، و(٢) سنتوصل إلى نموذج يمكننا من توقع التغيرات المحتملة في

أنواع متكررة من المباني العامة في كل مدينة وحددت الورقة خمسة مناهج متبعة في البحث في حينه: الأول) يفترض وجود نمط محدد للمدينة الإسلامية ويركز على الظاهرة الحضرية للمجتمعات الإسلامية (Grabar, 1969, von Grunebaum, 1969, " (Gibb & Bowen, 1950 الثاني) ويسير عكس التوجه الأول حيث يسلم بوجود سلسلة متصلة من الريف إلى المناطق الحضرية. لذا فإنه لا يتعامل مع المدن بل مع التركيبة الاجتماعية المتكاملة ريفاً وحضراً، (Lapi- 1973, 1969, dus). الثالث) يطرح نموذجاً للمدن الإسلامية ويمكن تحديده بمقارنة تنظيمها الفراغي وهيكلها المؤسسي مع المدن الإغريقية والرومانية أو المدينة الصناعية، (Von Grunebaum, 1969, Lapidus, 1967). الرابع) يركز على دراسة الأوضاع الراهنة، ويشمل ذلك دراسة مدن متعددة، أو البحث في تطور وعمران مدينة محددة خلال الزمن أو البحث في فترة فاصلة في تاريخ إحدى المدن، (Clerget, 1934, Sauvaget, 1941). الخامس) دراسة عنصر أو عدة عناصر عمرانية في المجتمع الإسلامي. وتتبع تغير العنصر خلال الزمن يمكن تطوير بعض النتائج أو النظريات حول تشكل المدينة. (Garabar, 1969, Ismail, 1969). وخلصت الورقة إلى أن معظم الباحثين في مجال المدينة الإسلامية ينحون إلى التركيز على مدينة واحدة

٤. الوعي بالتراث في مرحلة الدراسات العليا-التحول الفكري

عاد الباحث إلى كيمبردج مع بداية العام الدراسي في سبتمبر ١٩٧٦م. وركز دراسته و بحوثه الفصلية على المدن العربية والحضارة الإسلامية. حيث عمل على ورقتين بحثيتين أحدهما بعنوان « ابن خلدون: فلسفته في التاريخ وعلم المجتمع»، (Al Hathloul, 1976a). وتطرق في هذا البحث لفلسفة ابن خلدون ومرجعياته ورؤيته للتاريخ وتقسيمه إلى ظاهر وباطن. كما شرح طرحه للعلم الجديد الذي أسماه علم المجتمع، والذي أسس به لعلمي الاجتماع والأنثروبولوجيا المعاصرين. وتطرق لرؤيته للدولة والمدينة وتشبيهه لهما بالكائن الحي، الذي يولد ويشب عن الطوق ثم يصل لمرحلة الكهولة فالمشيب. وحلل البحث آراءه وقارنها بآراء بعض المعاصرين من الفلاسفة والمؤرخين وعلماء الاجتماع. والورقة الثانية بعنوان: ”مبدأ التوحيد والمدينة الإسلامية: تأثير الإسلام على البيئة العمرانية المبنية في العصر الوسيط“، (AlHathloul, 1977d). تركز هذه الورقة على المبدأ الإسلامي الأساسي ”التوحيد“، وكيف إنعكس على أو في البيئة العمرانية. وتأخذ خطين متوازيين في تحليل الموضوع هما: الخصائص الفيزيائية وطرق ووسائل العمل والإنتاج في المدينة الإسلامية خلال العصور الوسطى. حيث تدرس التنظيم والهيكل العام للمدينة، السكان والأحياء السكنية، السوق ومواقع الإنتاج، المسجد والحياة

البيئة العمرانية في المدن العربية الإسلامية مستقبلاً، وبحيث تتمكن من الموائمة وتشكيل بيئة عمرانية تستجيب لهذه المتغيرات (AlHathloul.1976b).

مثل عام ١٩٧٦م بداية إهتمام الباحث بالتراث العمراني بشكل واعٍ. فخلال وجوده بالمملكة في صيف ذلك العام، فتح بالبداية شارعين وهدمت مزرعة سمحة. وإستمع لقصيدة رثائها مسجلة بصوت الشاعر فعادت به الذاكرة لأيام طفولته وصباه. وخلال رحلة دراسية للمدينة المنورة في ذلك الصيف (١٩٧٦م) شاهد الباحث الجزء الغربي من المدينة المنورة القديمة المجاور للمسجد النبوي من الغرب وقد هدم وحلت مكانه مظلات مؤقتة من الشينكو، الشكل (٧). كما كانت الحارات المجاورة للمسجد من الجهة الشمالية الغربية مفرغة من سكانها في طريقها للإزالة، الشكل (٨)، وكان ذلك في بداية مراحل توسعة المسجد النبوي. وقد قام بتوثيق حارات المدينة المنورة بالصور (شرائح)، كما أنتج عنها فيلماً وثائقياً (8mm) لمدة عشرين دقيقة. وقام بجمع معلومات وخرائط وصور جوية للمدينة المنورة، الشكلين (٩، ١٠). تلك كانت بداية إهتمام الباحث بالتراث بشكل واعٍ وعميق.

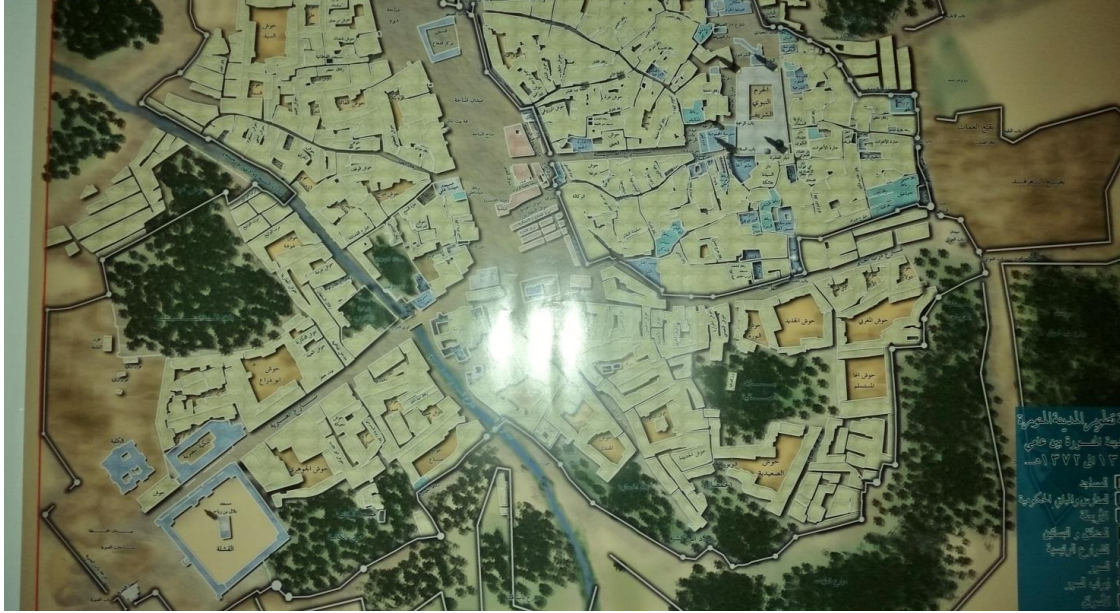
وفي نهاية صيف ١٩٧٦م زار الباحث مدن المغرب العربي: تونس والقيروان وفاس ومكناس. وإطلع بشكل مفصل على أعمال التوثيق والصيانة والترميم ضمن برامج الحفاظ على المدن العتيقة في كل من تونس وفاس.



الشكل (٧) المظلات الحديدية غرب المسجد النبوي ، صيف ١٩٧٦م. المصدر : الباحث



الشكل (٨) المباني الواقعة على شارع الساحة ، شمال غرب المسجد النبوي ، صيف ١٩٧٦م . المصدر : الباحث



الشكل (٩) رسم لصورة جوية للمدينة المنورة كما كانت في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي . المصدر : هيئة تطوير المدينة المنورة، مبنى على مخطط من إعداد هيئة المساحة المصرية عام ١٩٥٢م.

، (١٩٧١م). كما قام بإعداد مخطط لتقسيم الأراضي للمدينة المنورة لما هو داخل السور القديم، معتمداً في ذلك على عدة مصادر منها: الصور الجوية، وخرائط نزع الملكية المعدة من قبل مكتب تخطيط المدينة المنورة ووزارة المالية الشكل (١٠).

وفي مارس ١٩٧٧م قدم الباحث مقترحاً مبدئياً لرسالته للدكتوراه بعنوان: ”التقاليد والتغيير في البيئة العمرانية“، (AlHathloul, 1977c). ويتلخص بالتالي: مع التغيير السريع للبيئة العمرانية في المدن العربية، حاول عدد من الباحثين دراسة هذه التغيرات من حيث التركيب الديموغرافي والاجتماعي أو الإقتصادي للمدينة العربية. ولم تتم أي محاولة جادة لدراسة البيئة العمرانية المبنية للمدينة ومدى تحولها وتغييرها خلال عملية التغيير هذه. تهدف الدراسة

اليومية، ودور العلماء في توحيد وجمع العناصر المختلفة في المدينة لتعمل مع بعضها البعض لمجتمع حضري موحد. وتنتهي الورقة بتحليل للنمط العمراني للمدينة الذي يشكل إنعكاساً لهذا التنظيم. كان توجه الباحث هو إعداد مقترح لرسالة الدكتوراه يركز فيه على التطور العمراني للمدينة المنورة منذ الهجرة النبوية إلى فترة الخمسينيات الميلادية، والبحث في كيفية التحول للوضع الحاضر في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي. وقطع في ذلك شوطاً كبيراً حيث قام بدراسة خطط المدينة المنورة في الفترة النبوية معتمداً على كتابي ابن شبه والسمهودي، (ابن شبه^١، ١٤٠٢هـ، السمهودي

(١١) كان الدكتور/ فهميم شلتوت يقوم بتحقيق كتاب عمر بن شبه (ت ٨٧٧م) فقابله الباحث بالقاهرة بداية صيف ١٩٧٧م، وحصل منه على أجزاء من نسخة مطبوعة بالآلة الكاتبة من الكتاب، واستفاد منها كثيراً في تحديد خطط المدينة المنورة والمسكن حول المسجد النبوي.

لبحث وتحليل البيئة العمرانية المبنية في المدينة العربية الإسلامية تاريخياً، وفي الماضي القريب وخلال الفترة الحاضرة (الوضع الراهن). وستركز على عملية الموائمة بين البيئة المبنية في المدينة والمتغيرات الاجتماعية - الثقافية والعوامل الأخرى المؤثرة في البنية العمرانية. كما ستحاول تحديد عملية وطبيعة التغير ذاتها نتيجة للتغيرات الهيكلية للمجتمع وإعادة هيكلة وتشكيل البنية العمرانية للمدينة. كما سترصد الدراسة تأثير كل من هذه التغيرات أحدهما على الأخر، وتحديد مدى إستمرارية هذا التغير. ينطلق المقترح من أن البيئة العمرانية التقليدية هي المكان والحاضن الذي نشأت وتطورت فيه التقاليد والأعراف والمؤسسات الاجتماعية، لذا فمن الضروري فهم هذه البيئة فهماً جيداً كي نطلق لبناء المستقبل بشكل منطقي، وأن هدم وفقدان البيئة العمرانية التقليدية سيقود إلى إنقطاع وإختفاء المؤسسات الاجتماعية التقليدية، وبالتالي إنفصام المجتمع عن ماضيه، إذ أن البيئة العمرانية الجديدة



الشكل (١٠) مخطط تقسيمات الأراضي للمدينة المنورة، داخل السور الأول.

المصدر: من اعداد الباحث بناء على عدة خرائط من مكتب تخطيط المدن بالمدينة المنورة ومكتب نزع الملكيات بوزارة المالية

وأمانة المدينة المنورة (AlHathloul, 1981b, p.57).

نمط الطرق المستحدثه على الهيكل العمراني العام ، وعلى الأنشطة والإستعمالات في مركز المدينة وأحد أحيائها التقليدية. كما ستم دراسة التنمية العمرانية خارج حدود المدينة القديمة وتحليلها ومقارنتها بالنمط الإجتماعي والعمراني التقليدي. وبناء على ما يتم تحليله ودراسته في الأجزاء السابقة ، سيرصد الجزء الرابع الإحتمالات والإمكانات لإستمرار التغير على الجانب العمراني والجانب الإجتماعي - الثقافي- وقوى الإقتصاد ومدى الكيفية التي يتوقع أن تتفاعل بها هذه القوى مع بعضها البعض (AlHathloul.1977c).

وبعد تقديم المقترح عمل الباحث على ورقتين تتبع فيها المراجع والمصادر للموضوع. الاولى بعنوان: "المدن العربية الإسلامية : مراجع مختارة" (AlHathloul, 1977b). احتوت الورقة على قائمة بالمراجع المتوفرة في حينه عن المدن العربية الإسلامية . وتغطي العمارة والتحضر والجوانب الإجتماعية وماكتب حول التغير الإجتماعي في العالم العربي. وكذلك تغطي الجانب الإقتصادي والتنمية الحضرية وإنعكاس ذلك على المدن والعمران . بالإضافة للحالات الدراسية لمدن بذاتها.

والثانية بعنوان: "المدينة المنورة في كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالة". (AlHathloul, 1977a). إحتوت هذه الورقة على مراجعة لما يزيد على الثمانين كتاباً وتقريراً ومقالة علمية عن المدينة المنورة. وكان الهدف منها دعم المقترح المقدم من

لاتوفر لتلك المؤسسات التقليدية الفرصة أو البيئة المناسبة التي تساعد على الإستمرار والتطور. كما ينطلق المقترح من الفرضية بأن البيئة العمرانية الجديدة التي لا تمت بأي علاقة للتقاليد سوف تؤدي لإنقطاع المجتمع مع ماضيه وثقافته وشعور أفرادها بالغرابة.

يطرح المقترح تقسيم الدراسة إلى أربعة أجزاء بحيث يوفر كل جزء الأساس للجزء الذي يليه . الجزء الأول : سيتطرق للتاريخ العمراني للمدينة المنورة مع التركيز على التأثيرات المتبادلة بين البيئة المبنية والعوامل الإجتماعية والثقافية في الفترة الإسلامية المبكرة والعصر الوسيط . وستمكن في نهاية هذا الجزء من تحديد الهيكل العمراني العام للمدينة المنورة. وسيتناول الجزء الثاني عملية التغير في بيئة المدينة المنورة المبنية نتيجة للتفاعلات الإجتماعية والثقافية التي حصلت في الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، مع التركيز على عملية الموازنة بين الهيكل العمراني القائم وتفاعل القوى والعوامل الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في ذلك الوقت. وسيكون التحليل على مستوى المدينة من حيث نموها العمراني وتطور المركز والتغير في الإستعمالات ، كما سيتم رصد التغيرات على مستوى الأحياء السكنية. وسيرصد الجزء الثالث عملية التغير نتيجة لإعادة هيكلة البيئة العمرانية حول المسجد النبوي ووسط المدينة . كما سيتتبع التكوينات العمرانية المستحدثة في الأحياء الجديدة. وستركز الدراسة على تأثير

في دراسة التحضر والعمران في المدينة الغربية. وفي إحدى مناقشات الباحث مع أستاذه / أوليج جرابار حول الموضوع في إبريل ١٩٧٧م ذكر مقالة حول "التحضر في العصور الوسطى والتشريع الإسلامي"، نشرت بالفرنسية في نهاية الأربعينيات في إحدى المجلات التي تصدر عن المغرب العربي. (Brunschvig,1947).

تلك المقالة مثلت مفتاح توجه الباحث لدراسة التشريع الإسلامي وعلاقته بالعمران حيث إهتدى منها إلى مخطوطتي كتابين مهمين هما: «كتاب الجدار» لـ علي بن موسى (ت ٣٨٦ / ٩٩٦م) ومخطوطته موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر^{١٢}. (إبن الامام) وكتاب: "الإعلان بأحكام البنيان"، لابن الرامي (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م) وكان لا يزال مخطوطاً. فتدبر الحصول على نسخة مخطوطة منه من دار الخزانة بالرباط المغرب (ابن الرامي، ١٣٢٣م). بدأ الباحث دراسة هاذين الكتابين ثم توسع منها لدراسة المصادر الفقهية الأخرى كا: المدونة والمغني. (مالك، ١٩٠٥، ابن قدامه، ١٩٩٧م).

مثل هذا التوجه تحولاً كبيراً في تركيز الباحث فبدلاً من العمل على خطط المدينة المنورة وتطورها العمراني كمثال للمدن العربية الإسلامية التقليدية

الباحث للعمل على التاريخ العمراني للمدينة المنورة كموضوع رسالته للدكتوراه.

في تلك المرحلة كان الباحث مهتماً بمدى تأثير الدين الإسلامي - حيث أنه منطلق المبادئ والقيم للثقافة والحضارة الإسلامية - على العمران. وكان يقرأ ويبحث ويحاول الوصول إلى شئ من ذلك. إذ لم يكن مقتنعاً بالتوجهات والمناهج العلمية السائدة المتبعة في دراسة التشكيلات العمرانية في المدن الإسلامية التقليدية. حيث كانت تلك المناهج تركز على توصيف العناصر الفيزيائية في المباني كالمشربية والفناء وما إلى ذلك، وتحليل دورها وأدائها المناخي. وخلال تلك الفترة - النصف الثاني من السبعينيات من القرن العشرين - كانت هناك حركة دائبة في مجال دراسة العمران في الإسلام. كما كانت هناك محاولات عديدة للخروج من المنهج الوصفي والذي كان دائماً يقارن المدن الإسلامية بالمدن الغربية. وقد أسست حينئذٍ جائزة الأغاخان للعمارة الإسلامية عام ١٩٧٧م. كما تم في عام ١٩٧٩م إنشاء برنامج الأغاخان للعمارة الإسلامية مشتركاً بين جامعتي هارفارد ومعهد ماساشوستس للتقنية، (akdn.org).

ومن خلالها عقدت العديد من اللقاءات والندوات وحلقات النقاش للمختصين بالعمارة والعمران في الإسلام، (Aga Khan Award, 1978,1979,1980). وكان

الباحثون يركزون في مناقشتهم على إيجاد نموذج فكري يمكن من خلاله فهم التحضر والعمران في الإسلام، بدلاً من الاعتماد على النماذج المستخدمة

(١٢) حصل على صورة مايكرو فيلم من المخطوطة بالعربية من المكتبة الوطنية بالجزائر عن طريق العاملين بقسم دراسات الشرق الأوسط بمكتبة وايدنر، بجامعة هارفارد، اللذين قاموا مشكورين بالمراسلة والمتابعة مع مكتبة الجزائر حتى أحضروا له الصورة. وقد نشر الكتاب في بداية القرن العشرين الميلادي بالفرنسية في إحدى المجلات التي تختص بالمغرب العربي.

للآراء الفقهية. ودعمت الحالات الافتراضية التي كان الفقهاء يناقشونها في كتب الفقه كالمدونة والمغني. عاد الباحث إلى كيمبريدج في خريف عام ١٩٧٧م وركز جهده بالبحث في موضوع التشريع في الإسلام. فقام بالتسجيل في مادتين أحدهما عن "تاريخ التشريع وتطور المدارس الفقهية في الإسلام"، والثانية: "أصول الفقه"، وذلك في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد. كما أستمّر في العمل على دراسة المخطوطتين والقضايا التي إصطفاها من محكمة المدينة المنورة. وتمكن من تطوير توجه لإستخدام هذه النوازل والقضايا في تحليل أنماط العمران والتكوينات العمرانية في المدينة الإسلامية: وفي شتاء عام ١٩٧٨م خرج بورقة بعنوان: "القوانين والأنظمة في المدن الإسلامية: أثر التشريع الإسلامي على البيئة العمرانية التقليدية"، (AlHathloul, 1978b). وقدمها للأستاذ / أوليج جرابار في جامعة هارفارد. ثم قام بصقل الموضوع والتوسع فيه في ورقة أخرى بنفس العنوان وقدمها في مايو ١٩٧٨م لكل من الأستاذ / جرابار والأستاذ / هنري ميلون في معهد ماساشوستس للتقنية . بدأت الورقة بمراجعة للأدبيات السابقة خاصة تلك التي تطرقت لأراء الفقهاء ودور المحتسب في إدارة المدينة الإسلامية وأوردت وجهة نظر برونشيفج الذي بين أن الفقهاء تعاملوا مع القضايا والإشكالات المتعلقة بحياة المدينة، حيث تناولوا أنظمة البناء والتساؤلات الخاصة بإستعمال

إتسع مجال بحثه وتحول من التركيز على مدينة بعينها إلى موضوع التشريع الإسلامي وأثره على العمران وإنعكاس مبادئه على التشكيلات والتكوينات العمرانية في المدينة العربية الإسلامية. وفي صيف ١٩٧٧م. قام برحلة دراسية لكل من القاهرة والمدينة المنورة، حيث قضى عدة أسابيع في القاهرة بحث خلالها في محافظ أبحاث الحجاز المحفوظة في دار الوثائق القومية بالقلعة. ثم عمل بقية ذلك الصيف بالمدينة المنورة يبحث في سجلات محكمة المدينة المنورة عن قضايا تخص العمران والبناء^{١٣}. وقد خرج من بحثه في سجلات المحكمة بقرابة الأربعين قضية تختص بالعمران والخلافات بين الجيران، الشكل (١١). هذه القضايا بالإضافة للحالات الواقعية التي حدثت في تونس ووثقها لنا ابن الرامي في مخطوطته: "الإعلان بأحكام البنين"، مثلت رصيلاً جيداً لما هو عليه الواقع والتطبيق

(١٣) تبدأ سجلات المحكمة من سنة ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م وحتى عام ١٩٧٧م وهو العام الذي أجرى فيه الباحث بحثه. ما قبل سنة ١٥٥٥هـ / ١٥٩١م، تعرض بعض السجلات للعطب، ولذا فقد فقدت بعض القضايا منها. أما ما بعد الألف هجري فهي مكتملة ومرتبّة ومحفوفة بشكل جيد. ومع بداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، إشتملت السجلات في نهاية كل عام على أسماء المتوفين في ذلك العام وما خلفوه من تركة لورثتهم. كما يحتوي السجل رقم ١٤١ على أسماء الذين إستلموا نصيباً مما وزعه السلطان محمود خان على أهالي المدينة خلال عامي ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م - ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م. أما بالنسبة لبقية السنوات بعد ذلك فيتم إضافة الاسماء والأصبية المخصصة لكل منهم في نهاية سجل ذلك العام. كما يحتوي أحد السجلات على أسماء القضاة اللذين تعاقبوا على المدينة المنورة خلال العهد العثماني. وتحتوي هذه السجلات على معلومات قيمة عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمدينة المنورة، وتمثل مصدراً أولياً لهذا النوع من الدراسات للأربعة قرون الماضية. قام الشيخ / عبد الرحمن الحصين، مدير عام المحكمة في حينه - يرجمه الله - بتقديم الباحث لرئيس المحكمة فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن صالح - يرجمه الله - الذي أذن له بالإطلاع على تلك السجلات والبحث فيها.

القضائية تقدم لنا ليس فقط فهم طريقة تشكل هذه التكوينات وتطورها والتشريعات الحاكمة لها بل تجيب على كثير من التساؤلات التي أثارها ويثيرها الباحثون في هذا المجال. فالأراء الفقهية تقدم لنا إيضاحاً وتتابعاً زمنياً يشرح لنا البناء التدريجي الذي مرت به المدن العربية الإسلامية. كما أن آراء الفقهاء والأحكام الصادرة في قضايا الخلاف بين الجيران توضح لنا كيفية التشكل التدريجي المجرى للتكوينات العمرانية التي نراها في المدينة العربية الإسلامية التقليدية.

ومن خلال قراءة وتحليل آراء عدد من فقهاء المدرسة المالكية وكتب الحسبة، طرحت الورقة عدة فرضيات تتعلق بالبيئة العمرانية التقليدية في المدن العربية الإسلامية، وأوضحت كيفية التي تشكلت من خلالها التكوينات العمرانية التقليدية في المدينة العربية الإسلامية، ولماذا أخذت شكلها المميز ومدى كون هذه التكوينات نتاجاً للتشريع الإسلامي. كما رصدت التوجهات العامة التي كانت تأخذ في الإعتبار من قبل الفقهاء بشكل معلن أو ضمني للتحكم في توجيه التنية العمرانية في المناطق الحضرية. وناقشت الورقة ما إذا كانت المدن الإسلامية لديها تنظيمات بناء أو أنظمة إستعمالات أراضي، وما إذا كانت هذه التنظيمات تفهم ضمناً، أو أنها معلنة ومعروفة للجميع، أو أنها وصلت لمرحلة التسجيل كأنظمة مكتوبه.

بدأت الورقة بالمستوى العام للمدينة. فناقشت

الفراغات العامة والخاصة، الشوارع والممرات ووجوب إصلاح الجدران التي تهدد الحياة العامة، وماشابهها، (Brunschvig, 1947). كما تم التطرق لأراء فون جرونابوم حيث أشار إلى هذه المسائل وإلى دور المحتسب في المدينة الإسلامية. إلا أنه هو وبرنشفيج يتوصلان للإستنتاج "بأن المشاكل والقضايا التي عالجها التشريع الإسلامي إنما كانت تعالج في نطاق القانون ذاته، وليس ضمن معالجة عامة ونظام واضح يحكم المدينة، ويتعامل مع الصعوبات القانونية التي تعترضها،" ومع ذلك يسلم كلاهما بأن هذه المشاكل كانت تعالج بتوسع وبكفاءة عالية، (Von Grunebaum, 1962).

وأوردت الورقة إشارة قرابار للموضوع بشكل مقتضب وسريع في مقالة بعنوان "المدن والمواطنون"، حيث تناول الخلافات بين الجيران حول ملكية الجدران المشتركة بين منازلهم والحق في إستخدام الشوارع والممرات. وخن أن العالم الإسلامي في العصور الوسطى كان ينحو في إتجاه سن أنظمة للبناء وإستعمالات الأراضي، (Grabar, 1976). بينما لم يستبعد الباحث تأثير المناخ أو الخلفية الإجتماعية إلا أنه ركز على أن الأنماط والتكوينات العمرانية في المدينة العربية الإسلامية إنما هي نتاج للتشريعات الإسلامية. وكفي نفهم ونستوعب أصل هذه التكوينات وطريقة تشكلها فإن التشريع يمثل مجالاً لا يمكن تجاوزه بل وتجب دراسته وتبيان تأثيره. كما أوضح الباحث أن آراء الفقهاء والأحكام

Record	6 (1)	سجل ٦ (المجلد الاول)
Page	229	صفحة ٢٢٩
Case	418	حجه رقم ٤١٨
Date	5/5/981 A.H./1573 A.D.	تاريخ ١٨١/٥/٥ هـ

موجب تحريره أنه بين يدي مولانا الحاكم الحنفى عبد القادر بن ابراهيم دام مجده حضر محمد بن يوسف متولى وقف مولانا جمعق تغمده الله برحمته وحضر معه خميس بن جمال الدين خادم الفقراء ثم ادعى خميس المذكور على متولى الوقف المذكور بان الطاقتين التى بالحوش المذكور الناقدين الى دار خميس المذكور ان عليه فى فتحهما ضرر بين و طلب من مولانا (ادامه الله؟) سدهما فانكر المتولى المذكور ذلك . فكتشف مولانا العشار اليه بمحضر جماعة من المسلمين ومن جطتهم المعلم محى الدين بن ناصر الدين مهندس العمائر السلطانية بالمدينه النهويه والمعلم عبد الباسط بن حسام الدين المهندس فسأل مولانا بعد الاطلاع على الحوش المذكور والدار المذكوره والطاقتين المذكورتين المعلمين المذكورين عن الطاقتين المذكورتين هل فيهما ضرر على صاحب الدار المذكوره وهل يمكن فتح طاقتين غيرهما الى جانب كل واحد منهما لاجل الضوء للطاقتين التى فيها الطاقتين المذكورتين فشهدا لدى مولانا المشار اليه ان الطاقتين المذكورتين فيهما الضرر المذكور من الاطلاع وغيره وانه يكفى فتح غيرهما وانه يحصل القصد منهما بعد سدتهما وفتح غيرهما ويرتفع الضرر عن اهل الدار المذكوره والحوش المذكور شهادة شرعية يقبله مرعيه وثبت ضمنون ما ذكر لدى مولانا ومحضره . فحكم بسدتهما دفعا للضرر عن اهل الدار المذكوره وما يتعلق بذلك من هيزاب وغيره واصلاح الهيزاب الثانى . حكما صحيحا شرعيا تحريرا فى خامس جمادى الاولى عام احدى وثمانين وتسعمائه .

الشكل (١١) نسخة مطبوعة بالاله الكاتبه، لأحد القضايا المنقولة من سجلات محكمة المدينة المنورة.

المصدر : AlHathloul, 1981(a), p.322

والخصومية داخل المسكن وأوضحت آراء الفقهاء فى ذلك، وكيف نتج عن هذه الآراء والتشريعات تكوينات وتشكيلات عمرانية تستجيب أو تفي بالمحددات والشروط المستقاة من التشريع، خاصة ما يتعلق بإرتفاعات المباني وفتح الأبواب والنوافذ.. إلخ. كما تطرقت الورقة للحوائط المائلة والأبنية المهدهة بالسقوط وأوضحت الأحكام التى تحكمها. وتطرقت كذلك لتقسيمات الأراضى والتشريعات والأعراف التى حكمت ذلك مما أنتج لنا النموذج الذى تم تعريفه بـ: المدينة العربية الإسلامية التقليدية. وإنتهت الورقة بتحليل للتشريعات المطبقة

وحللت تقسيم الإستعمالات إلى مناطق على مستوى المدينة وكيف يتعامل التشريع معها من حيث ضررها وإزعاجها للساكين، كالدخان والرائحة والأصوات أو الضوضاء المقلقة لراحة السكان وكذلك تنظيم الإستعمالات فى الأسواق. ثم تنتقل الورقة إلى التشكيل العمرانى أو التكوينات الفيزيائية، حيث تتطرق لآراء الفقهاء فى حالات إفتراضية وواقعية تتعلق بالشوارع الرئيسية والفرعية، ومفهوم الفناء والزقاق، وتحديد عروض الشوارع والممرات ومن له الحق فى البناء فوق الممرات والمعايير الواجب الوفاء بها للسماح بذلك. ثم تطرقت لموضوع

وقد رأى الأستاذ جرابار في هذه الورقة العلمية إسهاماً جيداً وأنها ترسم تقليداً بحثياً جديداً في مجال دراسة العمران وبالذات في عمران المدن الإسلامية. وتوقع أن هذا التوجه سيفتح أفقاً جديدةً في مجال دراسة وفهم التشكيلات العمرانية في المدن الإسلامية ، لذا نصح الباحث بأن ينشر أجزاء منها في أقرب وقت ممكن. فقدم الباحث ورقة باللغة الإنجليزية لمؤتمر الإسكان المنعقد بجامعة البترول بالظهران في أكتوبر ١٩٧٨م بعنوان: ”مبادئ تصميمية لتطوير الإسكان في المدن العربية الإسلامية“، ونشرت ضمن وثائق المؤتمر، (AlHathloul, 1978a). تقدم الورقة تحليلاً لعناصر النمط العمراني والمعماري التقليدي بالمدن العربية الإسلامية ، خاصة ما يتعلق منها بمفهوم الفراغ في أفنية وشوارع وأزقة المدينة الإسلامية ، وتحقيق الخصوصية وتفادي الإطلاع والكشف بين الجيران. ومن خلال إستعراض وتحليل آراء الفقهاء من كتب النوازل ودراسة عدد من قضايا الخلاف بين الجيران مأخوذة من سجلات محكمة المدينة المنورة ، وتطبيق هذه الآراء على حارة الأغوات بالمدينة المنورة كحالة دراسية واقعية ، توضح الورقة إلى أي مدى أثر مفهوم الفراغ لدى السكان وإهتمامهم بموضوع الخصوصية وعدم الكشف على التشكيلات والتكوين العمراني في المدن الإسلامية. كما تركز الورقة على المبادئ الضمنية التي تحكم التنمية العمرانية في هذه المدن ، وتطرح تطوير هذه المبادئ كضوابط للتصميم العمراني بحيث

في المدينة والمؤسسات القائمة على ذلك والطرق المتبعة في التطبيق (AlHathloul.1978b). مثلت هذه الورقة تحولاً فكرياً (Paradigm Shift) في مجال دراسة العمران في المدن الإسلامية ، حيث قام الباحث بالعودة للأصول والجدور في الحضارة والثقافة الإسلامية. فدرس أسس التشريع والمبادئ التي بنى عليها والقيم المنبثقة عن ذلك ، وكيف أثرت بصيغة تبادلية مع التكوينات والأنماط العمرانية لتنتج لنا البيئة العمرانية التقليدية بالمدن العربية الإسلامية. وقام ببناء مسار جديد في التفكير والتحليل وطور نموذجاً مختلفاً عما كان متبعاً في السابق.

وإذا ما أخذنا بطرح توماس كون في كتابه ”بنية الثورات العلمية“ (كون، ١٩٩٢م) ، يمكن وصف ما قام به الباحث بأنه إنتقال من نموذج أو إطار فكري كان متبعاً في دراسة أنماط العمران والتشكيلات العمرانية في المدن الإسلامية إلى نموذج إرشادي جديد، حيث تغيرت الصيغ والقواعد والمصطلحات المتبعة بالبحث وأخذت معنى كيفياً جديداً. وهكذا أمكن للنموذج الإرشادي الجديد أن يوجه مسار البحث في مجال العمران في الإسلام ، حتى وإن لم يضع قواعد أساسية متفق عليها. كما أمكن للنموذج أن يرسم توجهاً بحثياً جديداً استنتج منه الباحثون نتائج مختلفة ولكن ليست متباينة.^{١٤}

(١٤) انظر أعمال: جميل أكبر ، مصطفى بن حموش ، محمد الشريف ، جمال سلاغور ، فهد السعيد ، فهد الحريقي ، حسام جمعه وغيرهم ممن أخذوا نفس المسار أو إستفادوا من النموذج الإرشادي الجديد.

يوفر لنا البنية التحتية غير المرئية التي يمكننا من خلال فهمها وإستيعابها وتفسيرها تعريف العمارة والعمران في المجتمع المسلم. ومن خلال دراسة النوازل وأراء الفقهاء حولها والحالات الواقعية التي أمدنا بها ابن الرامي من تونس في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، وحالات حدثت في المدينة المنورة منذ نهاية القرن السادس عشر الميلادي، أوضح الباحث أن هناك نظماً تعتمد على المبادئ والتقاليد طورت إلى أعراف تحكم تصرفات سكان المدينة العربية الإسلامية. وقد شكلت هذه الأعراف نظاماً تراتبياً يوجه إستخدام التشكيلات والتكوينات العمرانية بالمدينة.

ويقود هذا التوجه إلى تعريف مختلف للعمارة الإسلامية، إذ ينطلق هنا من المبادئ والأعراف التي تحكم العمران وتوجهه وليس من عناصر وتكوينات العمارة ذاتها، وبالتالي فإن بإمكاننا تحويل هذه العناصر أو التكوينات وتعديلها أو حتى تغييرها وإستبدالها بعناصر جديدة، طالما حافظنا على النظام التراتبي الحاكم (المبادئ والأعراف) والموجه لهذه العناصر والتكوينات العمرانية.

وقد نشر جزء من هذا البحث في عدد خاص من إكستكس (AlHathloul, 1980) التي نشرت بعض الأبحاث المميزه التي قدمت للمؤتمر، إلا أن المحرر- مع الاسف- ركز على نشر الجزء الخاص بالنوازل والقضايا من تونس والمدينة، وأغفل الجدلية الأساسية للبحث التي تقدم تعريفاً جديداً

يمكن إستخدامها في تنمية المناطق السكنية في المدينة المعاصرة.

خلال العام الدراسي ١٩٧٩/٧٨ م واصل الكاتب البحث والدراسة في موضوع التشريع والعمران في الإسلام، بالإضافة لإستعداده للإمتحان العام للدكتوراه الذي تقدم له في مايو ١٩٧٩ م. وفي صيف عام ١٩٧٩ م أعد ورقة بعنوان: "التكوينات العمرانية في المدينة العربية الإسلامية: أهى عناصر فيزيائية أم مبادئ وقيم؟" وقدم هذه الورقة للندوة العالمية للعمارة الإسلامية والتخطيط المنعقدة بكلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك فيصل، الدمام، ١٠-٥ يناير ١٩٨٠، (AlHathloul, 1980). أوضحت الورقة أن الإتجاه البحثي السائد ينظر للتكوينات أو الأشكال المعمارية والعمرانية في المدينة العربية الإسلامية كعناصر فيزيائية، مثل: المشربيات والأقواس والقباب، وأن العمارة الإسلامية تعرف بهذه العناصر والتكوينات الفيزيائية وأوردت مثلاً على ذلك التوجه الذي يأخذ به أيرنست جرابوي في مقدمة كتاب "عمارة العالم الإسلامي" حيث يناقش "ماهية العمارة الإسلامية؟" (Grube, 1978)، ويحاول الوصول إلى تعريف لها من خلال تحديد عناصرها الفيزيائية كالمشربية، والقوس، والقبّة.. إلخ. وأوضحت الورقة أن هذا التوجه يقود إلى الإستنتاج بأن هذه التشكيلات ثابتة وأن الأخذ بها كما هي يقود إلى الجمود وعدم التطور أو إتاحة الفرصة للإبداع والتغيير. وتجادل الورقة أن التراث

من مستوى الشكل والنمط العمراني. فقد أفادنا التشريع في الوصول إلى مستويين آخرين في التحليل هما : المستوى الفكري والتركيبى للمجتمع ، وكذلك المستوى التطبيقي للأنظمة والتشريعات. كما مكنا التشريع أيضاً من التعامل مع الأشكال والتكوينات العمرانية في إطارها الاجتماعي والثقافي. ففي تحليل البيئة العمرانية التقليدية استخدمت الدراسة النوازل من آراء الفقهاء وأحكام القضاة في الحالات الواقعية من تونس والمدينة المنورة وكتب الحسبة، حيث تم من خلالها إعادة تصور الكيفية التي نمت وتطورت بها الأشكال والتكوينات العمرانية في المدينة العربية التقليدية. ومن خلال دراسة نظم وتشريعات البناء المطبقة في المدينة العربية المعاصرة ، أمكن إيضاح أسباب الانفصام بين البيئتين التقليدية والمعاصرة. وقد رسم استخدام التشريع والأحكام والنظم العمرانية منهجاً جديداً في البحث في مجال العمران والعمارة. كما قادنا إلى الخروج بتعريف للعمارة الإسلامية أدق وأوفى وأكثر منطقاً وإقناعاً. كما استطاعت الدراسة إيضاح وفهم عملية التغيير في البيئة العمرانية التي تمت خلال القرن العشرين الميلادي في المدينة العربية الإسلامية ، وبالتالي فتحت الباب للتفكير في كيفية إيجاد صلة مع التراث والماضي، (الهذلول، ٢٠١٠ ، AlHathloul 1981b).

٥) الوعي بالتراث في تدريس العمارة بجامعة الملك سعود

للعمارية الإسلامية وتطرح منهجاً مختلفاً للبحث في هذا المجال ، مما حجب جزءاً رئيساً من القيمة العلمية للبحث وإسهامه في هذا المجال.

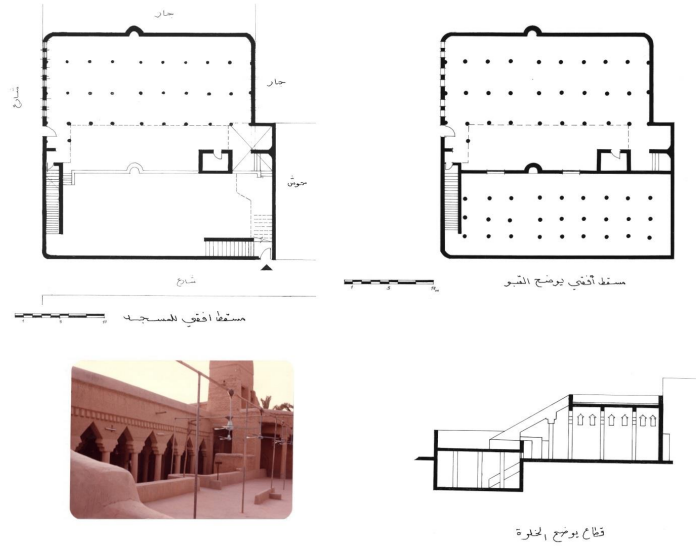
قدم الباحث رسالته للدكتوراه للمناقشة مع بداية فبراير ١٩٨١م بعنوان : ”التقاليد ، الإستمرارية والتغيير في البيئة العمرانية : المدينة العربية الإسلامية.“ (AlHathloul.1981b). عنيت الرسالة بموضوع التقاليد (التراث) ومدى إستمراريتها وتغيرها مع التركيز على المدينة العربية الإسلامية كحالة دراسية. وتوصلت الدراسة إلى أن التقاليد عملية متطورة أكثر منها هدفاً جامداً لا يتغير. ففي تطور المدينة العربية الإسلامية خضعت التقاليد لتغيرات مستمرة لكن الإحساس بوجودها وإستمراريتها كان ماثلاً على الدوام. وفي الثلاثة عقود الأخيرة من القرن العشرين الميلادي جابهت هذه التقاليد تحديات كثيرة وبذلت محاولات عدة لإعادة الصلة بالماضي لكنها جميعاً باءت بالفشل ، ونتيجة لذلك تكوّنت لدينا بيئة عمرانية معاصرة مغايرة كلية للبيئة العمرانية التقليدية في المدينة العربية الإسلامية. وقد ركز البحث على إيضاح الكيفية التي حدثت بها عملية التحول ، حيث تتبع نشأة البيئة العمرانية التقليدية وكيفية تطورها، ثم نظر إلى البيئة العمرانية المعاصرة، أين نشأت وكيف أدخلت إلى المدينة العربية الإسلامية . وباستخدام التشريع في هذه الدراسة والتحليل للبيئة العمرانية التقليدية والمعاصرة استطعنا أن نذهب إلى ما هو أبعد

وخلال تدريس مادة: "تاريخ العمارة الإسلامية". لاحظ الباحث أن المساجد من أول المباني العامة التي يتم إعادة بنائها بالخرسانة المسلحة، وأنها بدأتنا نفقد الكثير منها. لذا طور برنامجاً لتوثيق المساجد التقليدية في المنطقة الوسطى. وجعل من ضمن متطلبات مقرر "تاريخ العمارة الإسلامية" أن يقوم كل ثلاثة أو أربعة طلاب برفع وتوثيق أحد المساجد التقليدية في المنطقة الوسطى. وتم من خلال ذلك توثيق ما يربوا على العشرين مسجداً، الشكل (١٢). وفي تلك الفترة تقرر إعادة بناء المسجد الجامع بعنيزه وكان من المباني التاريخية المميزة. فكلف فريقاً من الفنيين بالقسم للسفر إلى هناك وعمل رفع دقيق للمسجد وتوثيقه بالصور. وتواصل مع فضيلة الشيخ / محمد بن عثيمين^{١٦} - يرحمه الله - هاتفياً وشرح له ما سيقومون به فحبذ الفكرة وشجعهم عليها. كما قام فضيلة الشيخ بكتابة ملخص من صفحة واحدة عن عمارة مسجد عنيزه أرسلها للباحث وضممت في ملف التوثيق، الشكل (١٣). وقد رغب فضيلته تزويده بنسخة كاملة من العمل الذي تم إعداده. وبعد إكمال العمل ومراجعته زار الكاتب فضيلة الشيخ في شهر

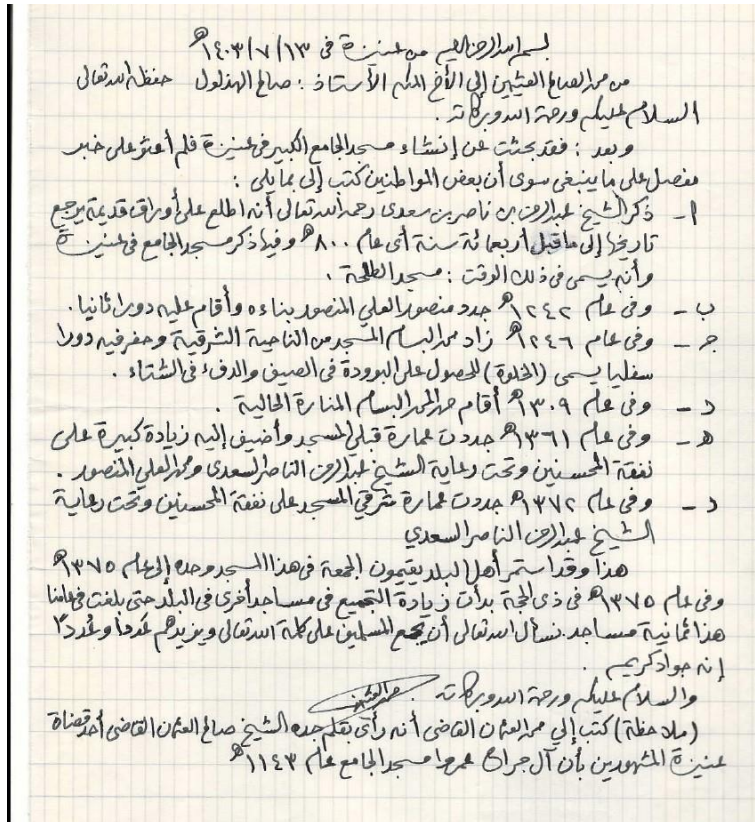
في الأول من مارس ١٩٨١م الموافق ٢٤/٤/١٤٠١هـ. باشر الكاتب عمله أستاذاً مساعداً بقسم العمارة بكلية الهندسة، جامعة الملك سعود الكائنة في حي عليشه. وذهب مباشرة للمشاركة وتقديم بحث في مؤتمر المدن العربية المنعقد بالمدينة المنورة حول "المدينة العربية الإسلامية"^{١٥}، وكان بحثه بعنوان: "التنازع الحضاري وإنعكاسه في الأنماط العمرانية"، (AlHathloul, 1981 a). يناقش هذا البحث النظم والتشريعات العمرانية المطبقة في المدينة العربية الإسلامية المعاصرة ويوضح أن هذه النظم والتشريعات تختلف تماماً مع القيم الثقافية والمبادئ الدينية والاجتماعية لسكان ومجتمع هذه المدن. ويتبع البحث تطور هذه النظم والتشريعات مع إيضاح البيئة الحضارية التي نشأت وتطورت فيها. ومن خلال ثلاث قضايا هي: الحد الأدنى لمساحة قطعة الأرض، متطلبات وشروط الإرتداد والفتحات، ودور وأثر ومفهوم نزع ملكية العقارات للمصلحة العامة، يستعرض البحث ويحلل البيئة التي نشأت فيها هذه النظم والاختلاف الحضاري والعمراني بينها وبين بيئة المدينة العربية الإسلامية. كما يقدم شرحاً للأبعاد والتأثيرات والمضامين الاجتماعية والعمرانية التي نتجت عن فرض هذه النظم على بيئة المدينة العربية الإسلامية.

(١٥) وبعد عودة الباحث من المؤتمر وجد أن عميد الكلية في حينه الدكتور / محمد آل الشيخ قد أصدر قراراً بتكليفه بالإشراف على قسم العمارة بدلاً منه، حيث لم يكن للقسم رئيس في تلك الفترة. وخلال العام الدراسي التالي في صفر ١٤٠٢هـ الموافق لشهر ديسمبر ١٩٨١م عين رئيساً للقسم لمدة عامين إنتهت مع نهاية صفر ١٤٠٤هـ / ديسمبر ١٩٨٣م.

(١٦) الشيخ / محمد بن صالح العثيمين (١٣٤٧-١٤٢١هـ / ١٩٢٧-٢٠٠١م) إمام المسجد الجامع الكبير بعنيزه من عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م إلى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م من العلماء الأعلام الأجلاء، بلغت شهرته وعلمه الأفاق وشهد له القاضي والداني بفضلته وعلو مكانته. درس في معهد عنيزه العلمي من عام ١٩٥٤ حتى ١٩٧٨م، ثم عمل أستاذاً بكلية الشريعة وأصول الدين / جامعة الإمام ثم جامعة القصيم حتى وفاته يرحمه الله. وتتولى مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية بعنيزة الاهتمام بالتراث العلمي الذي خلفه يرحمه الله، (www. Binothaimen.net).



الشكل (١٢) مثال لعمل مجموعة من الطلاب وهم : خالد العربي، ابراهيم البطحي، احمد المحيسن، فيصل البتال. توثيق المسجد الرئيسي بالدرعية القديمة. المصدر : الباحث



الشكل (١٣) نسخة من رسالة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - بخط يده ، الموجهه للباحث بتاريخ ١٣/٧/١٤٠٣ هـ

الموافق ٢٦/٤/١٩٨٣ م. المصدر : الباحث

البكالوريوس في العمارة. ومع نهاية العام الدراسي ١٤٠٣-١٤٠٤هـ مايو ١٩٨٤م تمت الموافقة على الكلية، وافتتحت الكلية في ذي الحجة ١٤٠٤هـ الموافق لشهر سبتمبر ١٩٨٤هـ. ^{١٨} وصدر العدد الأول من المجلة في عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. بينما تأجل تأسيس الجمعية ولم نحصل على الإذن بتأسيسها إلا عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م. حيث تكونت بإسم "الجمعية السعودية لعلوم العمران". وقد رأس الباحث مجلس إدراتها للدورتين الأولى والثانية لمدة أربع سنوات.

وفي عام ١٩٨٢م، خلال عمله في الجامعة، عمل الباحث مع مجموعة البيئة الاستشارية مستشاراً غير متفرغ. وقد شارك في العمل على مشروع تطوير منطقة قصر الحكم بالرياض. وتضمن المشروع إعادة تخطيط معظم المنطقة التي كانت داخل سور الرياض بمساحة تزيد عن ٤٥ هكتاراً، وإعداد تصميم عمراني متكامل لها، الشكل (١٥). وركزت فكرة التصميم العمراني للمنطقة على إعادة التطوير بحيث يجمع بين خصائص البيئة المحلية وتوفير الاحتياجات الحديثة. كما يأخذ في الحسبان الخلفية الثقافية والاجتماعية للسكان من خلال تطوير أنظمة بناء تراعي القيم والمبادئ التي يقوم عليها العمران في هذه المنطقة، (AlHathloul, 1984). كما تم

ذي الحجة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م في نفس المسجد قبل هدمه بأشهر قليلة وسلمه ملفاً متكاملًا يحتوي على نسخة من المخططات ومن التوثيق الفوتوغرافي للمسجد، الشكل (١٤).

وخلال عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م رأس الباحث فريقاً من أعضاء هيئة التدريس بالقسم لإعداد مقترح لكلية مستقلة للعمارة والتخطيط ووضع البرامج الأكاديمية والمتطلبات الإدارية لذلك، وكان منسق الفريق الدكتور فيصل التميمي. وقد تمت الموافقات على المقترح من المجالس بالجامعة والمجلس الأعلى للتعليم، وكان ذلك بدعم ومؤازرة من الدكتور / محمد آل الشيخ، عميد كلية الهندسة ومن الدكتور / منصور التركي مدير الجامعة آنذاك. وقد احتوى المقترح الذي رفع لإدارة الجامعة إنشاء "كلية التخطيط والتصميمات العمرانية"، وإصدار مجلة علوم العمران، وتأسيس جمعية علوم العمران. ^{١٧} وقد استعملنا كلمة العمران هنا بمفهومها الذي طرحه ابن خلدون في مقدمته. وتضمن البرنامج الأكاديمي المقترح للكلية مساراً في مجال الحفاظ على التراث العمراني ضمن برنامج

(١٧) تم إعداد ملف متكامل تجاوز الثلاثمائة صفحة بالمقترحات الثلاث. تضمن الأقسام المقترحة للكلية الجديدة والبرامج الأكاديمية لكل قسم وتوصيفاً للمواد في كل برنامج أو مسار. وإشتمل كذلك على مقترح تفصيلي للمجلة وللجمعية. كما تم إعداد مذكرة من ثمان صفحات على شكل ملخص تنفيذي رفعت لمجلس الجامعة بعنوان «مذكرة مرفوعة إلى مجلس الجامعة لإنشاء كلية للتخطيط والتصميمات العمرانية بجامعة الملك سعود». وإشتملت المذكرة على مقدمة، مدى الحاجة إلى كلية، المجالات المقترحة في الكلية، إستعدادات وإعتبارات التنفيذ، بالإضافة لأربعة جداول إحصائية على شكل مقارنات وتوقعات الإحتياج من المماريين والمخططين وأعضاء هيئة التدريس. (لدي نسخة من المذكرة).

(١٨) عدلت خطة الدراسة بالكلية عدة مرات خلال الثلاثين سنة الماضية ولم يؤخذ بفكرة المسارات. كما عدل اسم الكلية إلى الاسم الحالي وهو: «كلية العمارة والتخطيط» في الجلسة الأولى للمجلس الأعلى للجامعة بتاريخ ٢٩/٤/١٤٠٥هـ الموافق ٢٠/١/١٩٨٥م.

للملاك. وهو ما يتماشى مع المبدأ الشرعي في تحقيق المصلحة العامة مع عدم الحاق الضرر بالمصالح الخاصة .

٦. الوعي بالتراث في العمل الحكومي - وكالة وزارة الشؤون البلدية والقروية لتخطيط المدن في منتصف عام ١٤٠٤هـ / ابريل ١٩٨٤م ، إنتقل الباحث من جامعة الملك سعود إلى وزارة الشؤون البلدية والقروية وعمل وكيلاً للوزارة لتخطيط المدن. وقد أتاح له عمله الجديد فرصة لدخول المعترك العملي للمحافظة على التراث العمراني . إذ أن البلديات هي الجهات المعنية بإدارة المدن قديمها والحديث . كما أن وكالة تخطيط المدن هي الجهة التي تقع عليها مسئولية تنظيم وتخطيط البيئة العمرانية.

لقد كانت الجدلية المستمرة بين الحفاظ على التراث وضمان الاستمرارية في الحاضر والمستقبل، حية دائماً في ذهن الباحث. وكان التواصل مع الماضي والتراث والاستفادة منه هدفاً دائماً يسعى إليه، وذلك لإهتمامه بالوضع الحاضر وتطويره. فهو لا يقبل بالتراث وشرعيته قبولاً مطلقاً، ولكنه يعترف بأصالته ومن ثم بما له من قيمة كمصدر للحاضر. إن التراث العمراني لا يكتسب الصفة الشرعية، ولكن قيمته تكمن في أنه يمثل الأساس والمرجع الذي نبني عليه أفكارنا وتصرفاتنا. وبالتالي فهو يوفر لنا أرضية صلبة نستطيع التحرك والانطلاق

وضع إشتراطات التطوير بحيث تضمن العدالة في إشراك الملاك الأصليين للعقارات المراد تطويرها، والموازنة في ضمان حقهم في الاستفادة من التحسين الذي سيستج عن تنفيذ المشروع.^{١٩} إذ أن الهدف من المشروع هو تطوير المنطقة وليس الإستغلال العقاري لها. وهذا يعاكس المنظور الرأسمالي الغربي لمبدأ تطوير المناطق القديمة وتجديدها، والذي يجعل المصلحة العامة فوق كل إعتبار حتى وإن لحق ضرر بأصحاب المصالح الخاصة كالملاك الأصليين. كما أن المنظور الرأسمالي البحث لا يأخذ في الأعتبار حقوق الملاك الأصليين في القيمة الكامنة للمكان التي ستنتج من التطوير وعلى من ستعود. (الهذلول، ٢٠١٠ ، (a) AlHathloul 1981).

لذا أكد الفريق في الدراسة على الأخذ بفكرة تأسيس شركة قابضة يدخل فيها الملاك الأصليون للعقارات كمساهمين بقيمة عقاراتهم وقام بتطوير مقترح بذلك، نظراً لما يوفره من تحقيق للمصلحة العامة ويضمن في نفس الوقت الحقوق الخاصة

(١٩) كانت هناك عدة مقترحات مطروحة؛ أحدها: أن تقوم الدولة بعملية تطوير المنطقة لتحافظ على وضعها كعقار عام حيازة وإدارة؛ والثاني: أن تسلم إلى أحد المستثمرين من القطاع الخاص شريطة تقيده بتنفيذ المخططات المقترحة للتطوير، والثالث: تأسيس شركة قابضة يشارك فيها الملاك بقيمة عقاراتهم وهو ما طرحه فريق الدراسة. نظراً لتغير الظروف في أواسط الثمانينات الميلادية لم يتم تنفيذ المشروع. وقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٢٢١ في ٢/٩/١٤٠٣ هـ الموافق ١٣/٦/١٩٨٣م بضم مكتب مشروع قصر الحكم ومكتب مشروع وزارة الخارجية وحي السفارات ليكونا: مركز المشاريع والتخطيط، والذي مثل فيما بعد الذراع الفني للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. وكان قرار المجلس بناءً على اقتراح مرفوع من رئيس الهيئة العليا، (عثمان ١٩٩٩م). وقد قام فريق من المركز لاحقاً بتعديل التصميم العمراني لمنطقة قصر الحكم، مع تقليص حجم المشروع والتركيز على مبنى قصر الحكم والمسجد الجامع والساحات المحيطة بها. ثم كلف المهندس راسم بدران بتصميم المسجد والقصر والساحات وافتتحت عام ١٩٩٢م.



الشكل (١٤) المسجد الجامع بعينيه عام ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

صورة للواجهة الخارجية الجنوبية المطلة على الميدان الرئيسي للبلدة (المجلس).

صورة من الجزء الذي يعلو القبو (الخلوة)، وتبدو قاعة الصلاة الرئيسية (المصاييح) في الجهة اليمنى من الصورة، بينما غطى جزء من الفناء بمظلات حديدية. المصدر: الباحث

العامة للتخطيط العمراني في عام ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م. كما تم تطوير برنامج توثيق التراث العمراني في كل منطقة من مناطق المملكة. وهدف البرنامج لإتخاذ خطوات علمية ذات طابع عملي نحو الحفاظ على تراثنا العمراني في جميع مناطق المملكة. وقد بدأ البرنامج بعمل المسوحات الميدانية والتوثيق لتكون القاعدة الأساسية للقيام بالدراسات التحليلية وتركزت الأهداف على تحقيق التالي:

- ١- الوصول للقرار العلمي الصحيح لمعرفة ما يجب الحفاظ عليه من هذا التراث وتطويره.
- ٢- الكيفية التي يمكن بها الحفاظ على المناطق الغنية بالتراث العمراني وطرق إحيائها.
- ٣- وضع برامج تنفيذية تشارك بها جميع القطاعات المهتمة بالتراث العمراني وإحيائه.

منها، ولكنها لا بد أن تخضع للنقد والتقويم. وهذا المدخل يعني " ... أن التراث العمراني الذي نعتز به ليس مجرد كم من المعرفة أو جزء من الأحداث التاريخية غير المميزة، بل هو تراث حيوي يمثل مجموعة من الأفكار والقيم والمبادئ مما لانزال نجده صامداً أمام النقد... " (Anderson, 1970).

من هذا المنطلق تم إعادة صياغة أهداف ومهام وكالة تخطيط المدن وأضيف لهذه الأهداف: المحافظة على التراث العمراني والتوعية بأهميته وإحيائه وجاء الهدف الثالث من بين إثني عشر هدفاً للوكالة كالتالي: وضع السياسات المرتبطة بالحفاظ على التراث العمراني، (وكيل الوزارة لتخطيط المدن، ١٤٠٥هـ). ولتحقيق هذا الهدف، تم إستحداث وحدة للتراث العمراني ضمن الإدارة



الشكل (١٥) التصميم العمراني لمنطقة قصر الحكم الذي شارك الباحث في اعداده مع مجموعة البيئية الاستشارية حينما كان عضواً هيئة تدريس في الجامعة عام ١٩٨٢م، الموقع العام. المصدر: البيئة - التجربة المعمارية، الرياض، ١٩٨٩. ص ١٢.

الوعي بأهمية التراث العمراني والمحافظة علي العالم الحضارية والإهتمام بها .

٧- إثارة إهتمام القطاع الخاص بمختلف مؤسساته وهيئاته وأفراده وحفزهم للإسهام بدور فاعل في المحافظة على التراث والعناية به. (وكالة تخطيط المدن، ١٤٢٣هـ)

ولتحقيق ذلك كونت فرق عمل في كل منطقة من مناطق المملكة لتوثيق التراث العمراني في منطقتهم، ووضعت منهجية واضحة للتوثيق لاتباعها من قبل كل فريق. وشارك مع هذه الفرق

٤- الوصول إلى تقويم شامل للأنماط العمرانية في المملكة ، وإعداد الخطوات الإرشادية للتصميم العمراني لكل منطقة للاستفادة منها في تخطيط وتطوير المناطق الحديثة .

٥- التأكيد على أهمية التراث العمراني والحفاظ عليه من خلال اشراك الفاعلين من أمانات وبلديات ومجمعات قروية في البرنامج ، وذلك إنطلاقاً من دورها في تطوير المدن وإعداد وتنفيذ المخططات التفصيلية والإشراف المباشر على تنفيذها .

٦- مشاركة وسائل الإعلام المختلفة في تنمية

العمراني والحاجة للإهتمام به والمحافظة عليه لدى رؤساء البلديات والعاملين بها خاصة أولئك اللذين شاركوا في برامج التوثيق. كما أنه مثل بداية خطوة على الطريق في مجال المحافظة على التراث.

ولقناعة الباحث بأن التخطيط ليس مجرد علم محايد، وإنما هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة وثقافة وخلفية المجتمع الذي يخطط له، لذا فقد انتهجت الوكالة سياسة واضحة في العمل على ربط التخطيط بقضاياها ومتطلباته المحدثة مع التراث والاستفادة منه في ذلك. كما تم إيكال كافة أعمال التخطيط لإستشاريين ومخططين سعوديين أكفاء، ممن لهم خلفية ومعرفة تامة بالمجتمع السعودي وعاداته وتقاليده وكذلك لديهم معرفة واهتمام بالمحافظة على التراث العمراني وتطويره والاستفادة منه في معالجة قضايا الحاضر. وضمن هذا التوجه أوكل لمكتب البئية الاستشاري إعداد دليل للمخططات السكنية. وكان الهدف منه تصحيح مسار التخطيط بعد الانفصال عن التراث وتحقيق المواءمة بين الاحتياجات الحديثة والخصائص المستقاة من التراث التي تناسب حياتنا الحاضرة وترفع من مستواها. كما يأخذ الدليل في الحسبان تقاليد وخصائص المجتمع السعودي، ويضمن توفير المتطلبات الحديثة، بالإضافة للإقتصاد في البنية الأساسية، وتوفير بيئة مريحة للمشاة والسكان داخل الحي السكني (البيئة

القائمون على البرنامج في وكالة تخطيط المدن وذلك للتأكد من أولاً: تطبيق المعايير في إختيار وتحديد المواقع التراثية سواءً كانت على مستوى مدينة أو حي أو مبنى منفرد، وثانياً: إتباع الطرق العلمية بالتوثيق.

وخلال العمل في البرنامج تم عقد لقاءات متعددة وندوات لمناقشة الموضوع ومتابعة سير العمل والإطلاع على النتائج. وتوجت هذه اللقاءات بإنعقاد ”ندوة المحافظة على التراث العمراني“، التي عقدت بوكالة تخطيط المدن في عام ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م. وقد شارك فيها منسقوا فرق العمل من البلديات والمناطق وأعضاء البرنامج من الوكالة. كما دعى لها أساتذة مختصون في مجال التراث العمراني من عدة جامعات ومؤسسات عالمية.

أنتجت فرق العمل تقارير لكل منطقة توثق تراثها العمراني. وقد تم توثيق كامل العمل في كتاب بعنوان ”التراث العمراني في المملكة العربية السعودية“، إلا أنه - مع الأسف الشديد - تأخر نشره لأكثر من عشر سنوات لعدم توفر مخصصات مالية للنشر في حينه. لذا لم يصدر إلا في عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م،^{٢٠} (وكالة تخطيط المدن، ١٤٢٣هـ). وقد نتج عن هذا البرنامج إثارة الوعي بقيمة التراث

(٢٠) أعيد نشر الكتاب من قبل وكالة تخطيط المدن عام ١٤٣١هـ، الطبعة الثانية: مع ترجمة باللغة الإنجليزية وإضافة فصلين قصيرين في نهايته، وحذفت أسماء المشرفين على الكتاب وإستبدلت بأسماء أخرى.

والدكتور أسامة الجوهري في تحرير المجلد الخاص بالعمارة التقليدية، ضمن العمل الموسوعي الموسوم: "الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية"، الذي قاده ونسق له الدكتور سعد الصويان، وتولت دار الدائرهد للنشر والتوثيق نشره عام ٢٠٠٠م. وإحتوى هذا الجزء على إسهامات لعدد من الزملاء الباحثين في العمارة التقليدية وغطى جميع مناطق المملكة، (الصويان، ٢٠٠٠م).

وضمن أهتمامات الباحث وإسهاماته في مجال التراث العمراني والمحافظة عليه خلال عمله في تخطيط المدن شارك في العديد من الملتقيات والندوات والمؤتمرات وألقى العديد من المحاضرات حول الموضوع. كما شارك في هيئات تحكيم منها: هيئة تحكيم جائزة منظمة المدن العربية لعدة دورات، وهيئة تحكيم جائزة الأغاخان لدورة ١٩٩٨م (Da-vidson, 1998)، وهيئة تحكيم جائزة الأمير سلطان بن سلمان للتراث العمراني للدورة الأولى، وهيئة تحكيم جائزة عبداللطيف الفوزان للمساجد للدورة الأولى. كما ساهم في التدريس في هذا المجال في المدرسة الوطنية للعمارة والتعمير في تونس، حيث كان يغطي الجزء الخاص بالعمران في الإسلام، ضمن برنامج الدراسات المعمّقة في التخطيط (الماجستير) في الفترة ما بين ١٩٩٦-٢٠٠٠م. كما شارك في العديد من الأنشطة والحكم على رسائل الدكتوراه في معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب، خلال

١٤١٣هـ). وكان لهذا الدليل دور فاعل في إنتاج العديد من النماذج التي تستجيب لهذه المعايير؛ مثل: مخطط الحمراء بالرياض، والعديد من المخططات بالمدينة المنورة ومكة المكرمة والمدن الأخرى في المملكة. كما كلف مكتب النعيم للاستشارات بدراسة لإعادة وتجديد الحي السكني القائم بمدينة الرياض. فقدمو دراسة تفصيلية لنموذج حي سكني مكون من مربعة دو كسيادس المعروفة ٢×٢ كلم، والتي تمثل اغلب الأحياء السكنية بمدينة الرياض. وهدفت الدراسة لتحويل الحي من بيئة مخصصة للسيارة وطاردة للإنسان إلى حي يمكن للإنسان العيش فيه بشكل مريح والوصول للخدمات سيراً على الأقدام، (النعيم، ١٤١٣هـ).^{٢١} وتم تطبيق منتج الدراسة على جزء من حي النزهة بمدينة الرياض. ولكن التجربة قوبلت بإعتراضات من المجاورين في الأجزاء الأخرى من الحي فأوقفت الأمانة تنفيذها. وفي أواخر التسعينات من القرن الميلادي الماضي شارك الباحث مع كل من م/ علي الشعبي

(٢١) خلال الفترة التي تولى فيها الباحث عمل وكيل الوزارة لتخطيط المدن تم إيكال كافة مشاريع التخطيط والدراسات لمكاتب إستشارية محلية. والتالي أمثلة لذلك:

البنية (د) علي الشعبي	- تخطيط مدينة جازان.	- التصميم العمراني لوسط أها.
م/ عبدالرحمن الحمصي	- تخطيط التنمية السياحية للعقير.	- التصميم العمراني لوسط خميس مشيط.
النعيم (د) فرياح طاشكندى م/ محمد النعم	- دليل المخططات السكنية.	
م/ محمد هادي البراقري	- نماذج إعادة إحياء حي سكني قائم بمدينة الرياض.	
أزكي بلان (د) عبدالله بخاري	- إعادة تأهيل حي الزهرة بالرياض.	
معمار (د) عداد أسماجيل	- مخطط تنمية منطقة جازان.	
	- مخطط تنمية الطائف.	
	- مخطط تنمية عسير.	
	- مخطط تنمية وادي الدواسر.	
مكتب الدكتور/ أحمد فريد مصطفي	- تحديث مخططالبنية العنيزة.	
	- مخططات تفصيلية لمناطق العمل المختارة بالمدينة المنورة.	
	- مخططات مناطق العمل المختارة في مكة المكرمة.	
مكتب د/ سعد مصلي	- مخطط منطقة القصيم.	
مكتب العريجي (د) سليمان الخريجي	- مخطط الأحساء.	

الفترة من ٢٠٠٢ - ٢٠٠٦م. ٢٢

وطوال الإحدى وعشرين عاماً التي قضاهها الباحث في وزارة البلديات بقي مرتبطاً بالجامعة إرتباطاً وثيقاً. فكان يقوم بالمشاركة بالتدريس متى ما سُنحت له الفرصة، ويشارك في لجان التحكيم لمشاريع الطلاب وبالذات الطلاب الخريجين. ويحدوه في ذلك الرغبة والدافع العلمي والفكري، ومحاولة نقل التجربة والخبرة العملية ومزجها في الجانب الأكاديمي، وإنتقاء بعض الخريجين ليعملوا في مجال التخطيط. كذلك كان يحفز ويحث العاملين

(٢٢) تنوعت أنشطة الباحث ذات العلاقة بالوعي بالتراث أثناء شغله لمنصب وكيل وزارة الشؤون البلدية والقروية لتخطيط المدن. من تلك الأنشطة عضويات استشارية مهنية في مؤسسات محلية وخارجية أهمها: عضو الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض من ١٩٨٥م إلى ٢٠٠٤م ثم مستشاراً للهيئة من ٢٠٠٤ وحتى ٢٠٠٩م، عضواً في اللجنة التوجيهية لجائزة الأمير سلطان بن سلمان للتراث من ١٩٩٩/٥ وحتى ٢٠٠٦/٤م، عضو هيئة تطوير فيفا بجازان من ١٩٨٧/٤ وحتى ٢٠٠٤/٨. عضو اللجنة العليا لتطوير الدرعية من ١٩٨٨/٥ وحتى ٢٠٠٤/٨، عضو في الهيئة العليا لتطوير مكة المكرمة ٢٠٠٠/١ وحتى ٢٠٠٤/٨م، عضو لجنة التحكيم لجائزة المدن العربية في الدوحة ١٩٨٧/١٩٨٨م، و ٢٠١٢م. عضو لجنة التحكيم لجائزة الأخان للعمارة في جنيف ١٩٩٧/١٩٩٨م، رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية لعلوم العمران من ١٩٨٩ وحتى ١٩٩٣م.

ومن المحاضرات العامة ذات العلاقة بالوعي بالتراث والتي قدمها الباحث أثناء عمله بالوزارة: « التشريع والعمران في المدينه العربيه الاسلاميه»، عرض قدم لـ: ديوان المعار، عمان، ٢٢ أبريل، ٢٠٠٢م، « عمارة الرياض خلال مائة عام»، محاضره عامه، داره الفنون، عمان، ٢١ أبريل ٢٠٠٢م، « التشريع والعمران في الإسلام»، محاضرة رئيسيه في منتدى: العمران في الإسلام، كلية الهندسه، جامعه الأزهر، القاهره ، نوفمبر ٢٠٠١م، «العمران التقليدي والمعاصر: أثر التشريع في تكوين البيئه العمرانيه»، ندوة إشكاليه النظرية والتطبيق في العمارة التقليديه، جمعيه المهندسين البحرنيه، المنامه، ١٦-١٨ يناير ١٩٩٥م، « لماذا نعنتي بالحفاظ على التراث العمراني »، ندوة الحفاظ على التراث العمراني، بلديه دبي، ٣-٥ يونيو ١٩٩٥م، « المدينة المنورة: النموذج للمدينه الإسلاميه»، محاضرة في نادي مكة الثقافي الأدبي، مكة المكرمة، ٢٦ / ١٠ / ١٩٩٤م، « النظره إلى التقاليد و أثرها في تشكيل المستقبل »، ندوة الحفاظ على التراث العمراني الخليجي المميز، بلديه الدوحة، قطر ١-٣ أكتوبر ١٩٩٤م، « العمران في الإسلام ودور التشريع في تشكيل البيئه العمرانيه » موسم أصيله الثقافي السابع عشر، أغسطس ١٩٩٤م، أصيله، المغرب، « العمارة الإسلاميه: أثر التقاليد في أعمال المعمارين السعوديين المعاصرين »، محاضرة ضمن النشاط الصيفي لنادي أهبها الأدبي، يوليو ١٩٩٢م.

بوكالة تخطيط المدن على مواصلة دراستهم للماجستير في برنامج الدراسات العليا بكلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود. وهذا يزيد من معرفتهم ويرفع كفاءتهم، كما يتيح لهم ولوكالة تخطيط المدن العمل في رسالتهم على مواضيع وقضايا واقعية تفيدهم وتحفزهم وتعود بالنفع على البلد والمجتمع بشكل عام وعلى العمل في وكالة التخطيط بشكل مباشر.

٧. الوعي بالتراث في خدمة الجامعة-التدريس والبحث والاشراف على طلاب الدراسات العليا في سبتمبر ٢٠٠٤م عاد الباحث للتدريس بقسم العمارة وعلوم البناء بكلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود. وركز جهده منذ ذلك الحين على إثارة وعي وإهتمام طلاب الدراسات العليا وتوجيههم للبحث في مجال التراث العمراني. وقد كانت التساؤلات التالية حاضرة في ذهنه دائماً:

- لماذا نعنى بالحفاظ على التراث العمراني؟
- ماهو التراث الذي يجب أن نحافظ عليه؟
- كيف نحافظ على التراث العمراني؟ وماهي المشكلات التي تواجهنا عند القيام بذلك؟
- هل هناك حاجة للمجتمع في أن يترسم الماضي أو أن يشعر أفراداه بالصلة بماضيهم؟ وكيف نضمن الإستمرارية مع الماضي؟
- ومن خلال المواد التي كان يدرّسها لطلاب الدكتوراه كان الباحث يتطرق دائماً لفلسفة العلوم والمعرفة وعلاقتها بالعمران والتقاليد والتراث.

وتوجيه النقد الذاتي لأنفسنا وإخضاع ماضيها للاختيار يعتمد على وجود السجلات والوثائق ، سواء كانت مكتوبة أو على شكل عمران قائم. إذ أن البيئة العمرانية التقليدية تمثل سجلا وثائقيا مهما لجميع المجتمعات والحضارات ، خاصة في البلدان النامية التي لم تظهر بعد فيها فكرة السجلات والتوثيق بشكل منظم.

٢- القيم الجمالية .. العديد من المباني التراثية والبيئات العمرانية التقليدية زاخرة بأعمال فنية ذات قيم جمالية رائعة تستوجب منا عناية خاصة بها .

٣- النظر إليها كنماذج معمارية وعمرانية نتعرف من خلالها على كيفية قيام الأقدمين في هذه البقعة من الأرض وتحت الظروف المناخية التي كانت سائدة بتحقيق تكيف سليم مع بيئاتهم على مستوى المباني الفردية والمدينة ككل، وهي نماذج نتعلم منها ونستقي منها حاضرننا. ولكننا لا يمكننا توقع الدروس والعبر التي يمكن أن تلقنها تلك النماذج للأجيال القادمة. ان مجرد التسجيل والتوثيق - مع غياب الواقع الفعلي - لا يتعدى كونه عملية انتقائية قد لا تستجيب لتساؤلات الأجيال التالية ، بل انها قد لا تصل حتى لدرجة إثارة الأسئلة من قبلهم . وفي جميع الظروف فإن الوثائق والسجلات لا يمكن ان تنقل للأجيال القادمة ما يمكن أن يحصلوا عليه من خلال تجربتهم وممارستهم للعيش في البيئة التقليدية.

٤- كمصدر ومورد حيث تمثل البيئات

ويستثير إهتمام الطلاب من خلال إثارة هذه الأسئلة ومحاولة الإجابة عليها .

ينظر البعض لموضوع المحافظة من الجانب الإقتصادي البحت، لذا فهم ينادون أنه بمجرد أن يكون المبنى غير مجد إقتصادياً فإنه لا يمكن الحفاظ عليه. واذا ما أخذنا بهذا المبدأ كمنطلق لنا فإن فكرة الحفاظ على التراث بأكملها تصبح غير ذات معنى. ان قياس قيمة أو كفاءة وفاعلية مبنى ما بالأرقام فقط خطأ كبير يجب علينا تجنبه والحذر منه. إن قيمة ذلك المبنى ليست في عناصره المنفصلة كل عن الآخر ، ولكنها تكمن فيما يمثله بالنسبة للمجتمع بأكمله . مثال : اللوحة الفنية أو المخطوطة التي تباع بمئات الآلاف أو الملايين ، إن ما يباع ويشترى فيها هو قيمتها الحضارية وليس عناصرها من ورق أو قماش .

وينظر آخرون من الجانب النفسي ، حيث نعى عادة بترائنا لأنه يشعرونا بصلتنا بماضيها. ونتحسر عليه أحيانا لأنه يمثل قصصنا وذاكراتنا. ولكن اذا استبعدنا الجانبين الأقتصادي والنفسي فإن هناك أربعة أسباب رئيسية تستوجب العناية بالتراث العمراني والمحافظة عليه:

١- كسجل حضاري.. ليس هذا هو المكان المناسب لتطوير جديده حول أهمية الخلفية الحضارية المميزة للامم ، إذا أن معرفة المرء لماضيها تمكنه من فهم وادراك ذاته، وهذا مهم للفرد والمجتمع على السواء ، وفي كلتا الحالتين فإن قدرتنا على التذكر

كلمة التخطيط بمعناها المستقبلي ، فنحن نخطط لما سيكون بناء على توقعاتنا لذلك. الاشكالية في تعاملنا مع التراث هي أننا يجب أن نخطط لما كان ، ولما هو موجود لدينا حالياً ، ولما نتوقع أنه سيكون . ولكن مع الأسف فالمخططون يتعاملون - في الغالب - مع ما سيكون ، مع المستقبل فقط ، ومع قليل من مشاكلنا الحاضرة ، فننتهي في الغالب بلا نتيجة .

مثال : نحن نفتتح شوارع في المدن القديمة لحل مشكلة قائمة ، أو التغاضي عن مشكلة لا نستطيع حلها في المدينة القديمة ، ولم نعن أنفسنا محاولة حلها. ان الازاله أسهل بكثير - في وقتها - من التعامل مع المشكلة ، خاصة في مجتمع لم يع بعد قيمة ماضيه وتراثه.

ويبدو أن التنمية والحفاظ على التراث يسلكان مسارين مختلفين تماماً. فعلى نقيض مؤسسات التنمية لم تنشأ للحفاظ على التراث في دول العالم الثالث مؤسسات قوية وقادرة وفاعلة. ولاريب في أن التنمية الثقافية والتربية هي أقوى وأفضل وسيلة للحفاظ على التراث. غير أن المشكلة في عدد كبير جداً من حالات الحفاظ هي أنها من اللاحاح والعجلة بحيث يصبح الانتظار حتى يستيقظ الوعي الوطني بها أطول مما ينبغي ، لأنه قبل أن تؤتي التوعية ثمارها تكون أحياء ومدناً بأكملها قد اختفت ، وهذا ما حصل للمجتمع السعودي في مرحلة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين الميلادي .

العمراية القديمة مصدرا غير مستثمر الا في حالات نادرة.

ماهو التراث الذي يجب أن يحافظ عليه ؟ من خلال عملية البناء واعادة البناء والتغير التي تمر بها مدننا ، إلى أي مدى يجب أن نلتزم بالحفاظ على التراث ونضمن شعورا بالاستمرارية مع الماضي؟ .. كيف يمكن أن نوفق بين الناحية الاقتصادية ، والشعور النفسي ، والاستمرارية الحضارية؟ .. مامدى الاثراء الحقيقي أو الفعلي الذي يقدمه الموروث العمراني لصورة المدينة في أذهاننا؟ يقول كيفن لينش: ”تحت مظلة الحفاظ على التراث ، قمنا بإبقاء العديد من المباني المشكوك في قيمتها الحضارية ، وجودتها النوعية الحالية . أبقينها منفصلة ومعزولة عما يحيط بها مما أفقدها قيمتها ومعناها بالنسبة للعامة“ . (Lynch, 1972) . ويبقى السؤال ماهو التراث الذي يجب أن يحافظ عليه؟ ..

وللإجابة على ذلك أود أن أوضح أننا لم نصل بعد الى تطوير طريقة واضحة وتوجه ملموس يمكن اتباعه في ذلك . لذا فنحن لانزال نسير على نفس الطريقة التي ذكرها لينش وهي الطريقة التي ابتدعها لنا مؤرخو الفنون والعمارة الذين يتعاملون مع المباني كوحدات منفصلة ، قطع فنية معزولة عما حولها .

كيف نحافظ على التراث؟

هنا ندخل ضمن مجال التخطيط. لقد فهمت

كيف يمكن تحفيز الوعي بالتراث في التعليم المعماري
تتكون منظومة التعليم من مكونات ثلاثة هي:
البرنامج والمعلم والطالب .

بالنسبة للطالب: فقد نشأ جيلنا والجيل الذي
تلاه ضمن البيئة العمرانية التقليدية وربما مارس
بعضنا صناعة وحرفة البناء فيها. لذا فقد استوعبنا
هذه البيئة وعشنا تقاليدنا ونظمها وفراغاتها
وتكويناتها العمرانية وأسلوب الحياة فيها. بينما
نشأ الجيل الحالي وستنشأ الأجيال القادمة في البيئة
العمرانية المعاصرة، وهي مغايرة تماماً للبيئة التقليدية
ولا تمت لتراثنا العمراني بأي صلة . لذا فإن الأجيال
- بالذات طلاب العمارة - يحتاجون إلى :

(١) ممارسة العيش في البيئة التقليدية واستيعابها
وفهمها وذلك عن طريق القيام برفع وتوثيق مباني
تراثية ودراستها على الطبيعة.

(٢) ممارسة طرق البناء التقليدية وفهم طبيعة
المواد المستخدمة فيها وكيفية تجاوبها والتعامل معها.

(٣) تفهم وإستيعاب الخلفيات الحضارية
والثقافية التي أنتجت تلك البيئة ، خاصة القيم
والمبادئ و النظم والتشريعات العمرانية. فالنظم
والتشريعات لها دور أساسي في إنتاج التشكيلات
والتكوينات والفراغات العمرانية.

بالنسبة للبرنامج التعليمي : فإن الطريق الذي
يمكن أن تتميز فيه مدارسنا المعمارية هو التركيز على
دراسة وتعليم التراث العمراني والمعماري، لذا لا بد
من تضمين برامج العمارة في كليتنا بالملكة جرة

ودعونا نتساءل : ما الفرق بين هدم مبنى أو
حي قديم وتمزيق أو حرق مخطوطه يتجاوز عمرها
الثلاثمائة عام؟ ماذا سيكون رد فعل الناس إذ رأوا
المخطوطة تمزق أو تحرق؟ المتوقع أن ينكر أغلب
الناس حرق المخطوطة أو تمزيقها ، بينما يمدون على
مبنى قديم يتم هدمه ولا يجرأ أحد ساكناً.

ودعونا نقارن ماتم في مجتمعنا خلال الخمسة
عقود الماضية من إزالة مناطق عمرانية تراثية بأكملها
وإنشاء أحياء ومناطق عمرانية جديدة ، تبنى بطرق
ووسائل ومواد وأنظمة جديدة مختلفة تماماً عما
كان يتبع في الماضي ، وقيام إحدى الأمم (تركيا)
بتغيير حروف الهجاء المستعملة في كتابة لغتهم من
الأحرف العربية إلى الأحرف اللاتينية في الثلاثينيات
من القرن العشرين الميلادي. فماذا حصل؟

النتيجة أن أفراد المجتمع التركي الذين دخلوا
المدارس منذ ذلك التاريخ لا يستطيعون قراءة شئ
من تراثهم كتب قبل عام ١٩٣٠م. لقد فصلوا تماماً
عن ماضيهم وتراثهم الثقافي.

إن هذا هو ما يتم في مجتمعنا بالنسبة للبيئة
العمرانية. حيث لن يتمكن الجيل الحاضر والأجيال
القادمة من مشاهدة ومعايشة التراث العمراني
بشكله المتكامل كما كان في الماضي ، ولن يتمكنوا
من التعرف على عناصره ودراسته وفهمه على
الطبيعة وإعادة تفسيره بالشكل الذي يتناسب مع
إحتياجاتهم الحاضرة والمستقبلية .

من القرن العشرين الميلادي ، وشعور المجتمع نحو ذلك ممثلاً بقصيدة رثاء لأحد أهم العناصر العمرانية التي إرتبط فيها أفراد ذلك المجتمع. إن فقدان التراث العمراني الذي نشأنا وترعرعنا فيه ليس مجرد فقدان لأشكال المباني وتكويناتها ، أو إختفاء للأنماط العمرانية التقليدية لمدننا وقرانا ، بل صاحبه إفتقاد للقيم والمبادئ التي ساهمت في ظهور تلك المباني والتكوينات العمرانية بأشكالها التقليدية. وعندما تخلخلت واختفت هذه القيم لدى المجتمع ظهرت بيئة عمرانية مختلفة. وقد نتج عن هذه البيئة الجديدة إنسان مختلف، له أعراف وتقاليد أخرى، ولم يعرف كما أنه لا يقدر قيمة ما إفتقده من تراث عمراني أصيل، وقيمة هذا التراث لحاضره ومستقبله.

تتبعت الدراسة كذلك الخطوات التي سار عليها الباحث ووثقت مدى إسهامه بأهمية التراث العمراني والمحافظة عليه ، من خلال أبحاثه وحياته العملية فأوضحت إسهامه في رسم منهج جديد في دراسة العمران ، وإحداث تحول في المنهجية المتبعة من قبل الباحثين في حينه ، حيث قدم نموذجاً جديداً استخدم فيه التشريع الاسلامي. وطور هذه المنهجية وتوصل من خلالها إلى تعريف جديد للعمارة والعمران في الإسلام. هذا التعريف إعتد على المبادئ والقيم المطبقة في العمران بدلاً من تعريفه من خلال العناصر المبنية كالمشربية والقبة والفناء. وتوصل الباحث إلى الاستنتاج بمرونة هذا

كافية من المواد الخاصة بالعمارة التقليدية وتراثنا المعماري وعلاقته بموضوع الاستدامة ، بحيث يستوعب الطلاب كيف تكيف أسلافهم مع البيئة وأنتجوا مباني مستدامة بالرغم من قلة إمكاناتهم في حينه .

ويجب أن نخصص مساراً لدراسة التراث العمراني ضمن برنامج دراسة العمارة ، ويركز فيه على المحاور الثلاثة الواردة آنفاً بالنسبة للطلاب. ونأتي في نهاية المنظومة للمعلم أو عضو هيئة التدريس. إذ لا بد أن يكون عضو هيئة التدريس: (١) مقتنعاً بالتوجه الذي يرسمه البرنامج .

(٢) ملماً بموضوع التراث العمراني بشكل عام ومستوعباً للطرق والأساليب التي تتبع في المحافظة وإعادة إستعمال المباني التراثية.

إذ لافائدة ترجى إذا كان البرنامج التعليمي والمعلم يركزان دائماً على مواضيع العمارة الحديثة والحركات المعمارية المعاصرة ويغفلان دراسة التراث العمراني المحلي .

خاتمة

طرحنا هذه الدراسة توثيقاً لتجربة أحد أفراد الجيل الأول من المعماريين السعوديين ، ورصدت مدى تطور وعيه بأهمية التراث العمراني والمحافظة عليه ، فتطرق لمكان نشأته ومعايشته للبناء بمادة الطين التقليدية ، ثم دراسته للعمارة وإنفتاحه على نظريات العمارة المعاصرة. ورصدت بداية وعيه بالتراث العمراني في النصف الثاني من السبعينيات

المراجع

المراجع العربية :

إبن الإمام (ت ٣٨٦هـ / ٩٩٦م)، كتاب الجدار، مخطوطة الجزائر، المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم ١٢٩٢.

إبن الرامي (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م)، كتاب الإعلان بأحكام البنين، مخطوطة الرباط، دار الخزانة العامة، رقم ٢٨٣٤-٨. حققه عبد الرحمن بن صالح الأطرم وقدم كرسالة ماجستير لقسم الفقه، كلية الشريعة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، (١٤٠٣هـ).

إبن شبة، عمر (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٧م) تاريخ المدينة المنورة، تحقيق / فهم محمد شلتوت، أربعة أجزاء، المدينة المنورة. ط ٢، (١٤٠٢هـ).

ابن صالح، محمد، «نمو النسيج العمراني للمستوطنات وتطوره في مرتفعات جبال السروات خلال مائة عام، حالة دراسية لقريه آل خلف»، مجلة جامعة الملك سعود - (العمارة والتخطيط) المجلد الحادي عشر، (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م)، ص ١-٧١.

إبن قدامه، موفق الدين (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٤م)، المغني، تحقيق: عبد الله التركي، عبد الفتاح الحلو، ١٥ مجلداً، دار عالم الكتب، (١٩٩٧م). إبراهيم، عبد الباقي، المعماريون العرب، حسن فتحي، القاهرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، (١٩٨٧م).

العمران وديناميكيته وقابليته للتغيير في الأشكال الفيزيائية طالما استجابت الأشكال الجديدة وخدمت المبادئ والقيم وحققت المتطلبات البيئية والمناخية. وتنبع أهمية هذا الطرح من :

١- إن ماورد في هذا البحث من استعراض لتجربة ذاتية لشخص بعينه، ومناقشته لبعض الآراء والأفكار التي طرحها إنما يمثل توثيقاً لمرحلة زمنية من تاريخ العمران في المملكة إمتدت لقرابة الخمسة عقود.

٢- إن أهمية هذه التجربة تنبع من كونها معاشية واقعية لحياة المجتمع وتسجيلاً للعلاقة التبادلية مع البيئة المبنية خلال فترة الطفرة الاقتصادية التي مرت بها المملكة العربية السعودية، وما صاحبها من تغيرات إجتماعية وثقافية.

٣- إن هذه التجربة هي الأولى حسب إطلاع الباحث التي ينشر فيها مثل طبيعة هذه الأعمال والتجارب، رغم أن الحاجة لها ماسة وكبيرة. فكثير من المعماريين والمخططين السعوديين لم يتح لهم نشر آرائهم وتجاربهم في أوعية علمية لتكون متاحة أمام الباحثين، مع أنها تمثل مصادر أولية عن العمران في المملكة وتحتوي آراء أصيلة.

٤- إن توثيق تجارب الأجيال المتعاقبة ونشرها يوفر لنا معلومات من مصادر أولية لم يسبق تسجيلها ولا تتوفر في الدراسات الأخرى ذات العلاقة، كما أنها تتيح معلومات قيمة للمهتمين بتاريخ ونظريات العمران في منطقتنا.

- أكبر ، جميل، عمارة الأرض في الإسلام ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. (١٩٩٢م).
باموق ، أورهان ، إسطنبول : الذكريات والمدينة ، ترجمة : أماني توما وعبد المقصود عبد الكريم ، بيروت ، مؤسسة الانتشار العربي ، (٢٠١٠م).
البيئة للإستشارات ، دليل إعداد المخططات السكنية ، الرياض ، وكالة تخطيط المدن ، (١٤١٣هـ).
الحصين ، محمد ، المدينة المنورة ، بنيتها وتركيبها العمراني التقليدي ، الرياض ، مؤسسة التراث ، (٢٠١٠م).
الحصين ، محمد ، البنية العمرانية لمدينة الرياض في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، الرياض ، (١٤١٧هـ).
السدحان ، مساعد ، « دراسة البيئة العمرانية التقليدية من خلال الشعر العامي بمنطقة نجد » مجلة جامعة الملك سعود ، م ١٩ ، العمارة والتخطيط (١) ، (٢٠٠٦) ، ص ص ١٨١ - ٢٣٠ .
السدحان ، مساعد ، « شواهد العمارة التقليدية في الأمثال الشعبية بمنطقة نجد » ، مجلة الدارة ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، م ٣ ، (٢٠٠٤) ، ص ص ٥٣ - ٨٢ .
السمهودي ، علي ، (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م) ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ط ٢ ، بيروت ، (١٩٧١م).
الصويان ، سعد بن عبدالله (محرر) ، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دار
- الدائرة للنشر والتوثيق ، ١٢ مجلد ، (مجلد العمارة التقليدية) ، (٢٠٠٠م).
العبودي ، محمد ، معجم بلاد القصيم ، الرياض ، دار الوثائق للنشر والتوزيع ، (٢٠١٦م) ، ص ص ٤٤١ - ٤٤٥ .
عثمان ، زاهر ، « دور سلطات التخطيط في التنمية الحضرية: تجربة الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض » ، في الهدلول ، إيدادان (محررون) ، التنمية العمرانية في المملكة العربية السعودية: الفرص والتحديات. الرياض دار السهن ، (١٩٩٩م) ، ص ٣٩١ - ٤٢٠ .
الغمراوي ، أحمد ، الدكتور سيد كريم: رائد تخطيط المدن ، القاهرة ، المركز الإعلامي العربي ، (٢٠٠٤م).
كون ، توماس ، ترجمة شوقي جلال ، بنية الثورات العلمية ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٦٨ ، (١٩٩٢م).
مالك ابن أنس (ت ١٧٩ هـ ، ٧٩٥ م) ، المدونة الكبرى ، (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) ، ١٦ مجلدًا ، القاهرة ، (١٩٠٥م).
النعيم للإستشارات ، دليل تجديد وإحياء الحي السكني ، الرياض ، وكالة تخطيط المدن ، (١٤١٣هـ) .
الهدلول ، صالح ، المدينة العربية الإسلامية : اثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية. الرياض ، دار السهن ، (١٩٩٤م) ، ط ٢ ، الجمعية السعودية

- Ibn Shabbah, O**, *History of Medina the Radiant*, 4v. Medina, 2nd Ed., (1402 AH).
- Ebn Saleh, M**, “ The Growth of Urban Settlement Pattern and its Development in Assarawat Mountains in One Hundred Year, Case Study: Al Khalaf Village”, *KSU Journal -Arch & Planning*, v.11, (1998), pp.1-71.
- Ibn Qudamah, M, Almughni, Beirut**, *Books World Publishers*, (1997).
- Ibrahim, A**, *Arab Architects* ; Hasan Fathi, Cairo, CPAS, (1987).
- Akbar, J**, *Land Development In Islam, London, Arrisalah Publishing Establishment*, (1992).
- Pamuk, O**, *Istanbul : Memories and the city*, Beirut, Alinishar Establishment, (2010).
- Beeah Consultants**, *Manual for the Preperation of Resedential Neighborhoods*, Riyadh, DMTP, (1413 AH).
- AlHussayen, M**, *Almadinah Almunawarah*, Riyadh, Atturath Establishment, (2010).
- AlHussayen, M**, *Riyadh Urban Structure in the 1st half of the 14th century*, Riyadh, (1417AH).
- Al Sadhan, M**, “A Study of the Traditional Built Environment Using Folk Poetry in Najd Region”, *KSU Journal – Arch. & Planning*, v.19, (1), (2006), pp.181-230.
- Al Sadhan, M**, “ Reference to Traditional Architecture in the Popular Proverbs of Najd”, *Al- Darah*, v.3, (2004), pp.53-82.
- Al Samhudi, A**, *The Complete History of the Prophet City, 2nd Ed.*, Beirut, (1971).
- Al Suwayan, S**, (ed), *Traditional Culture in Saudi Arabia*, Riyadh, Dar ad'dairah Publisher, V.4 (Traditional) Arch., (2000).
- AlUbaudi, M.**, *Geographic Dictionary for Alqasim Region*, Riyadh, Ath thuluthiyah Publishers, (2016), pp.445-441.
- Uthman, Z**, “ The Role of Planning Agencies in Urban Development: The case of ADA”, in AlHathloul, and Edadan (eds), *Urban Development in Saudi Arabia*, Riyadh, Assahan Publishers, (1999), pp.391-420.
- ALGhamrawi, A., Dr. Sayed Karim: A Distinguished city Planner**, Cairo, Arabic Information Center, (2004).
- Kuhn, T**, *The Structure of Scientific Revolutions, Kuwait*, Knowledge world series, (168), (1992).
- Malik**, *The Grand Entry*, 16 Volumes, Cairo, (1905).
- Anna'eem Consultants**, *Manual for the Revitalization of Existing Residential Neighborhoods*, Riyadh, DMTP,(1413A.H.).

لعلوم العمران ، سلسلة علوم العمران(٤)،
(٢٠١٠م).

الهذلول ، صالح ، « نمو المستوطنات في إقليم نجد خلال القرن الرابع عشر الهجري - » ، في :
أسعد عبده وآخرين ، ندوة المدن السعودية :
انتشارها وتركيبها الداخلي ، الرياض ، مطابع
جامعة الملك سعود ، (١٩٨٣م) ، ص ص
١٣٧-١٧٠ /

هيئة تطوير المدينة المنورة، رسم لصورة جوية
للمدينة المنورة.

وكالة تخطيط المدن، وزارة الشؤون البلدية والقروية
، التراث العمراني في المملكة العربية السعودية ،
الرياض ، (١٤٢٣هـ) .

وكيل الوزارة لتخطيط المدن ، « تقرير مرفوع لمعالي
الوزير عما تم بوكالة الوزارة لتخطيط المدن
خلال النصف الثاني من عام ١٤٠٤هـ» (محرم
١٤٠٥هـ). وئاتق أرشيف مكتب الوكيل
لتخطيط المدن، وزارة الشؤون البلدية والقروية،
ملف التقارير السنوية المرفوعة لمعالي الوزير،
التقرير الأول ، محرم ١٤٠٥هـ- التقرير الحادي
والعشرون ، محرم ١٤٢٥هـ.

Arabic References:

- Ibn Al Imam**, *The Book of the wall, Algiers*, The National Library, (Manuscript mo.1292).
- Ibn Al Rami**, *Book of the Announcement of Rules Governing Builsings*, Rabat, Public Library House, (manuscript no. A8-2834).

- il, et. al(eds), *Housing Problems in Developing Countries*, proceedings of IAHS International conference 1978, New York, Wiley & Sons, (1978 a), V.2,pp.509-523.
- AlHathloul, S.**, “ Codes and Regulations in Muslim Cities: The Effect of Muslim Law on the Traditional Physical Environment,” Ms., January 1978. (A more developed version May 1978b).
- AlHathloul, S.**, “ Medina in the Writing of Historians,- Geographers & Travelers,” Ms May(1977 a).
- AlHathloul, S.**, “ The Arab-Muslim Cities: A selected Bibliography,” Ms., March (1977 b).
- AlHathloul, S.**, “ Tradition and Change in the Physical Environment; A preliminary Proposal,” Ms., March (1977 c).
- AlHathloul, S.**, “ Unity and the Muslim City: the Effect of Islam on the Medieval Urban Environment,” Ms. January (1977 d).
- AlHathloul, S.**, “ Ibn Khaldun Philosophy of History & his Science of Culture,” Ms., Dec.(1976 a).
- AlHathloul, S.**, “The Islamic City: In Search of a Theory,” Ms., March(1976 b).
- AlHathloul, S.**, AlHussayen, M., & Shuaibi, A., *Urban Land Utilization, Riyadh, Saudi Arabia*, Education/ Research program, USD, Cambridge, M.I.T., (1975 a).
- AlHathloul, S.**, “The Holy Mosque & its Effect on the Central District of Mecca,” Ms. March(1975 b).
- AlHathloul, S.**, and Ali Shuaibi, “ Housing Problems in Saudi Arabia,” Ms., May(1974 a).
- AlHathloul, S.**, “ Pilgrimage to Mecca and the Holy Environs,” Ms. January (1974 b).
- Al-Ohali, Y.**, *Urban Dwelling Environments in Rapidly Growing Cities: Unayzah, Saudi Arabia*, Education/ Research Program, USD, Cambridge, M.I.T., (1983).
- Al-Otaibi, G.S.**, *Urban Dwelling Environments in Rapidly Growing Cities: Mecca, Saudi Arabia*, Education/ Research program, USD, Cambridge, M.I.T., (1980).
- Anderson, S.**, “Architecture and Tradition that Isn't Trad Dad,” M. Whiffen (ed.), *The History, Theory and Criticism of Architecture*, Cambridge, MA, MIT Press, (1970), pp.71-89.
- Brunschvig, R.**, “Urbanisme Medieval et Droit Musulman”, *Revue des Etudes Islamiques*, XV, (1947), pp.127-155.
- Clerget, M.** *Le Caire: Etude de Geographi Urbaine et d'Histoire Economique*, Cairo, (1934).
- Davidson, C.**, (ed) *Legacies for the Future: Contemporary Architecture in Islamic Societies*, London, Thames and Hudson, (1998).
- AlHathloul, S.** *The Arab -Muslim City, 2nd Ed.*, Riyadh, Umran Society, Urban Umran Science Series (4), (2010).
- AlHathloul, S.**, “ Settelement's Growth in Najd Region During the “ 14th Century AH.”, in As'ad Abduh, et al., *Saudi Cities Symposium*, Riyadh, KSU, Press, (1983) pp.137-170.
- Medina Development Authority**, An Aerial photo in the 1920's based on the Egyptian Survey Department plan for medina, (1952).
- Deputy Ministry for Town Planning, MOMRA**, *Urban Heritage in Saudi Arabia*, Riyadh(1423AH).
- Deputy Minister for Town Planning**, “ Report to the Minister on DMTP Achievements in the 2nd half of 1404 AH”. (1405AH).

English References:

- Aga Khan Award for Architecture**, Seminar One, Towards an Architecture in the Spirit of Islam, (April 1978), Seminar Two, *Conservation as Cultural Survival*, (Sep.1978), Seminar Three, Housing Process and Physical Form, (March 1979), Seminar Four, Architecture as Symbol and Self-Identity, (Oct. 1979), Seminar Five, Places of Public Gathering in Islam, (May 1980).
- Aga Khan Development Network**, (akdn.org).
- AlHathloul, S.**, “ The Justice Palace District, Riyadh: Development Regulations,” *In Continuity and Change: Design Strategies for Large Scale Urban Development*. Aga Khan Program Series: Designing in Islamic Culture, (1984), pp 43-45.
- AlHathloul, S.**, “ Cultural Conflicts in Urban Patterns : the case of the Arab City”. In Ismail Serageldin (ed.) *The Arab city, its Character and Islamic Cultural Heritage*, proceedings of the symposium on the Arab city, Madinah, Saudi Arabia, Feb 28-March 5, (1981 a).
- AlHathloul, S.**, *Tradition, Continuity and Change in the Physical Environment: The Arab-Muslim City*, Ph. D. dissertation, Dept of Arch. MIT, (1981 b).
- AlHathloul, S.**, “ Urban forms in Arab-Muslim Cities: Physical Elements or Themes and Principles,” Presented to the Symposium on Islamic Architecture and Urbanism, January 1980, Dammam, Saudi Arabia. Extract appeared in EKISTICS special Issue on Islamic Human Settlements, vol.47, No.280, Jan-Feb.(1980), pp.15-16.
- AlHathloul, S.**, “ Design Principles for Housing Development in Arab -Muslim cities,” in F. Dakh-

- Kilical, A.**, “Indigenous Details: Case Study in Central Saudi Arabia,” in *Journal of King Saud University*, Vol.1, (1989), pp. 83-92.
- Lapidus, I.M.**, “Traditional Muslim Cities: Structure and Change,” in L. Carl Brown (ed), *From Medina to Metropolis*, Princeton, (1973).
- Lapidus, I.M.**, “Muslim Cities and Islamic Societies,” in Lapidus (ed), *Middle Eastern Cities*, Univ. of California Press, (1969).
- Lapidus, I.M.**, *Muslim Cities in the Later Middle Ages*, Cambridge, H.U. Press, (1967).
- Le Tournau, Fez** *Under the Merinids*.
- Lynch, Kevin.**, *What Time is This Place?*, Cambridge, MA, MIT Press, (1972).
- Sauvaget, J.**, *Alep*, Paris, (1941).
- Steele, James**, *The Architecture of Rasem Badran, Narratives on People and Place*, London Thames & Hudson, (2005).
- Steele, J., & Fathy, H.**, *An Architecture for the Poor: the Complete Works of Hassan Fathy*, Whitney Library of Design, (1997).
- Tashkandi, F.T.**, *Urban Dwelling Environments in Rapidly Developing Cities: Case study, Khamis Mushait, Saudi Arabia*, Education/Research program, USD, Cambridge, M.I.T., (1979).
- United States Geological Survey.**
- Eben Saleh, M.**, “Al-Alkhalaf: The Urban History of a Traditional Settlement in Southwestern Saudi Arabia”, *Habitat Int.*, Vol. 19, No. 1,(1995), pp 29-52.
- Eben Saleh, M.**, “Alickas: the Urban Pattern of a Traditional Settlement in South-Western Saudi Arabia”, in: *Urban Design International*, Vol. 2, No. 2, (1997), pp 93-107.
- Facey, W.**, *Riyadh: The Old City – From Its Origins Until the 1950’s*, London, Immel Publishing, (1992).
- Fadan, Y.**, *Urban Dwelling Environments: Jeddah, Saudi Arabia*, Education/Research program, USD, Cambridge, M.I.T., (1977).
- Graber, O.**, “Cities and Citizens,” in B. Lewis (ed), *Islam and the Arab World.*, London,(1976).
- Graber, O.**, “The Architecture of the Middle Eastern City,” in Lapidus (ed.), *Middle Eastern Cities*, Univ. of California Press,(1969).
- Grube Ernest**, “What is Islamic Architecture,” in George Michell (ed), *Architecture of the Islamic World: its History & Social Meaning*, London, Thames & Hudson, (1978), pp.9-14.
- Von Grunebaum, G.E.** “The Structure of the Muslim Town,” in *Islam: Essays in the Nature and Growth of a Cultural Tradition*, London: R. & K. Paul Ltd., (1969).
- Ismail, A.**, *Origin, Ideology and Physical Patterns of Arab Urbanization*, Ph.d. dissertation, Univ. of Karlsruhe, (1969).

Awareness of Urban Heritage and Its Preservation: An autobiography

Saleh AlHathloul

*Department of Architecture and Building Science,
College of Architecture and Planning, King Saud University*

salhathloul@ksu.edu.sa , sh@alum.mit.edu

Received 16/10/2016 ; accepted for publication 9/3/2017

Abstract: Urban heritage represents a basic resource of knowledge and provides a platform for discussion and innovation. The authority of heritage can not be blindly accepted, though its authenticity and relevance to the present must be recognized.

Different approaches have been pursued to study traditional urban heritage of Saudi Arabia, however, non of these studies present a livable experiment of heritage in its different stages of development. This article documents the experience of one of the first generation of Saudi architects and his interaction with urban heritage. It follows a selective synchronic approach, concentrating on events within the urban environment that had shaped and affected the researcher's experience. The study focuses on people and places where activities happen within the space of time. It relates researcher's experience during his early days, his university and graduate studies stage and his life experience with urban heritage. The time span extends from late 1950's to the present.

A review of the researchers contribution , where he introduced a new paradigm to study Muslim Urban environment, is presented. This paradigm uses legal opinions and documents from the shari'ah out of which a new approach, methodology and a definition of Islamic Architecture and Urban form was developed.

The study shows that in order to comprehend and fully benefit from the built heritage one has to live and experience that heritage, that personal experiences and narrating these experiences represents original and primary sources for researchers and that documenting and publishing such material brings to the scientific and intellectual community a primary resource on the Saudi history of architecture and urbanism. It also provides a platform for studies, analysis and discussions on early stages of urban development in Saudi Arabia. The great loss Saudi society had suffered socially, culturally, environmentally and economic is as a neglecting the preservation of Urban heritage is emphasized

Key words: Urban heritage, Preservation, Urban history, Saudi Arabia, Biography.